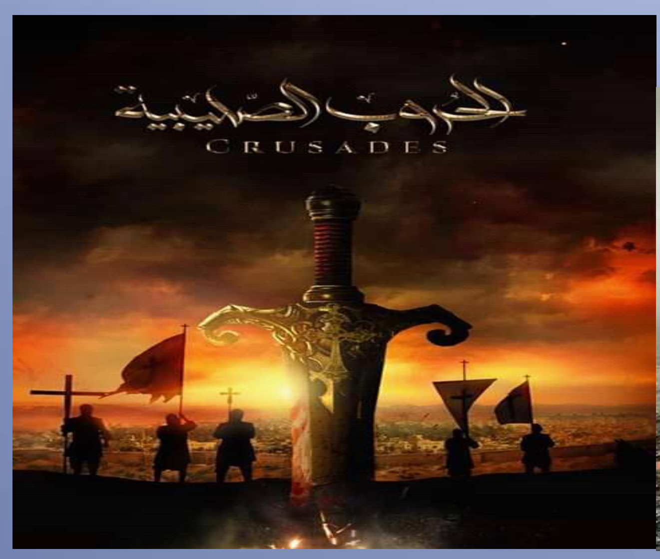












السفاحون المائة (الجزء الثاني)......محمود أحمد جاد

السفاحون المائة (٢)

الفهرس

****

١١ .كاليغولا ٥
١٢ .عمرو بن هشام(أبو جهل).. ١١
١٣ .عامر بن الطفيل.. ٢٢
١٤ .أبو لؤلؤة المجوسي.. ٢٩
١٥ .عبد الله بن سبأ(قتلة عثمان)..................................... ٣٩
١٦ .الخوارج(عبد الرحمن بن ملجم)................................... ٥٣
١٧ .قتلة الحسين(عبيد و شمر)....................................... ٦٤
١٨ .الحجاج بن يوسف الثقفي.. ٧١
١٩ .القرامطة(أبو طاهر الجنابي)..................................... ٧٨
٢٠ .الحاكم بأمر الله الفاطمي.. ٨٢
٢١ .الحشاشون(الحسن الصباح)...................................... ٨٦
٢٢ .جيوم دي مونري(قادة حملة رومة)................................ ٩٦
٢٣ .رذريق(رودريجو دياز)... ٩٩
٢٤ .محمد بن تومرت.. ١٠٤
٢٥ .ألفونسو الثامن.. ١٠٨
٢٦ .فرناندو الخامس و إيزابيلا(محاكم التفتيش)......................... ١١١
٢٧ .أوربان الثاني... ١١٩
٢٨ .بطرس الناسك.. ١٢١
٢٩ .بوهيموند.. ١٢٣
٣٠ .جودوفري بويون.. ١٣٠
٣١ .ريمون الرابع... ١٣٦

٣٢ .بلدوين الأول... ١٤٠

٣٣ .تانكرد النورماني... ١٤٥

٣٤ .بلدوين الثاني.. ١٤٨

٣٥ .وليام جوردن... ١٥٤

٣٦ .برترام بن ريمون.. ١٥٥

٣٧ .يوحنا كومنين... ١٥٩

٣٨ .أرناط(رينالد دي شاتيون)... ١٦٣

٣٩ .ريتشارد قلب الأسد... ١٧٠

٤٠ .إينوسنت الثالث(إبادة الكاثار)... ١٧٦

يسبق أغلب الشخصيات و الفترات الزمنية مقدمة تعريفية ، تتضمن نبذة عن الشخصيات و خلفية تاريخية عن الأحداث ، كما يعقب شخصيات الحروب الصليبية لمحات أدبية تروي أحداث المآسي التي شارك فيها الأمراء.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، بين أيديكم قصص ٣٠ شخصية جديدة في رحلة السفاحين المائة، أنهيت الجزء الأول بقصة كسرى الثاني، ونغور في الماضي السحيق في مستهل الجزء الثاني ونتحدث عن شخصية كاليغولا، قبل أن نبحر في لجج دماء شخصيات عهد فجر الإسلام ومآسي الأندلس والحروب الصليبية، يتبقى في ذلك الكتاب قصص ستين شخصية نسردها لكم في جزئين آخرين، وأرجو من الله أن يحوز الكتاب على إعجابكم وتستقون منه ما قد يزيد حصيلتكم في المعلومات التاريخية، قدر المستطاع نتخلى عن الإسهاب ونلقي بظلال الأدب على بعض كلماته كي لا يصيب قارئه الفتور والملل، والله ولي التوفيق.

(١١)كاليغولا

إمبراطور روما

(٣٧-٤١م)

أنّى لقلمي و حروفي أن تغفو عنك يا كاليغولا؟ ، كيف تخطيتُك و شرعتُ أروي عن نيرون؟ ، كيف و أنت عبقرية الشر؟ ، كيف و أنت من ادعيت الربوبية عندما تعاظم كبريائك بعرش روما؟ ، و استمد منك نيرون خباله و مجونه كأنك مِشكاته و مِشعله ، أدركتُ و لحقتُ كي لا أختم سلسلة السفاحين دون أن أذكر بين المائة _حذاء الجندي الصغير_(كاليغولا) ، الطاغية الأشهر في سلالة يوليوس قيصر.

في خلال أول ستة أشهر من عهد كاليغولا ، فغرت الأفواه و انفرجت الأشداق من مدرار كلمات التمجيد و الثناء ، لم تكن تتعاطى الألسنة سوى عبارات الشكر لمن أنعم على روما و حباها كاليغولا ، غرس الحاكم محبته في نياط القلوب بمثالية ، التف الشعب حوله و جرفته شعبيتهم له و ضجّت القوارع في الشوارع بالمديح و التبجيل ، فقد كان في مستهل حكمه مثالاً للحاكم الذي يبتاع محبة رعيته ، ألغى الضرائب و أطلق سراح المأسورين الذين ضاقت بهم السجون ، و أزاح من على كواهل الناس نوائب الدهر و أثقاله ، و انبثقت في كل أصقاع روما الحفلات و العروض و المسرحيات التي أبهجت أفئدة الشعب و التي كانت تزدان بحضور الحاكم و عائلته ، ثم تقلص النور الذي أضاء روما ، تقلص فتقلص حتى خفت و خبا كأنه جرمٌ سماوي توهج ثم أفَل ، عندما ألمّ بالحاكم مرضٌ عضال أقعده في سريره ينشج و يتأوه و يرى أخيلة الموت تهيم أمام عينيه التي برزتا من الجحوظ ، أكان من فرط الخمر؟ ، أكان من إسرافه في لفحات الشبق؟ ، أكان من مغالاته في السهر و الرقص؟ ، لم يجد الأطباء

لمرضه علة ، ربما كان كاليغولا وحده يعلم سبباً لعيائه ، ما علمه الشعب بعد ذلك و أدركه أنهم مقبلون على سنين عجاف ، برأ كاليغولا و عادت الحيوية لتسكن روحه ، من اخمص قدميه و حتى جِيده برأ كاليغولا ، لكن عقله لم يبرأ ، كأنما المرض تسرب من كل خلايا جسده و صبّ أدرانه في ثنايا عقله حتى فاض بالجنون و العته ، ما رأته روما ليس فترة نقاهة للحاكم ، ما رأته روما كان ظلمات بعضها فوق بعض ، انقلب الحال رأساً على عقب.

إله الأرض و ملك هذا العالم ، أنّى للقمر ألا يسقط في يدي ، لماذا الشمس لا تجيب مطلبي ، لماذا لا تنصاع لأمري ، لماذا لا تطلع من غربي ، سأمنع الكائنات من الموت كي أقبض أرواحها متى أردت ، سأشيد جسراً في السماء ، يربط مملكتي بكوكب المشترى ، و لسوف ينتصب بالمعابد تمثالي شامخاً يسجد له الناس ، و لقد رأيت أصلعاً أزعجني برأسه التي كمثل الصحراء المقفرة الجرداء ، و شأفتي و جبروتي ، لأصدرن مرسوماً بقتل كل جَليح يهيم في ملكوتي ، سأقتل من أشاء ، وقتما أشاء ، أينما أشاء ، فأنا لا أرتاح إلا بين الموتى.

هكذا كانت تصول مثل تلك الأفكار و تجول في عقل الحاكم الخرِب ، فقد كاليغولا صوابه تماماً و أصبح في البلاد كالمحموم للجريمة يتمشّى بلا عقل في جمجمته ، تزوج شقيقته ، فرض السرقة العلنية في روما ، جعل نفسه وصياً على كل أثرياء روما كي تؤول أملاكهم إلى خزانته ، نصّب جواده عضواً في مجلس الشيوخ و كان له موضعاً بالقرب منه في قاعات الاجتماعات ، رأى ذات يوم أحد رجاله يتناول عقاراً فتوهّم أنه يتعاطى ترياقاً للسم خوفاً من غدره ، رماه جذافاً بذلك من منبت خياله ثم قتله بيديه تشفياً من لاشيء ، تملكته البارانويا وحركته الشيزوفرينيا و انساق مع هواه لئيماً ، و فتك بشعب روما فتكاً أثيماً.

ذات مرة و بينما كان إيوان الحاكم يضج بالحاشية و الأقيال ، إذا بالحاجب يستغيث أن أدركوا كاليغولا فإنه يلفظ آخر أنفاسه ، فانكبّ عليه ملائه و كل وزير منهم يفكر كيف يبدي للإمبراطور مدى ولائه له في آخر لحظات حياته ، أحدهم قال فلتكن أموالي فداءً لسيدي كاليغولا ، و الآخر قال فليقبض الإله روحي قرباناً و تضحية ليحيا سيدي كاليغولا ، و بينما كان القوم في شأن من إبصارهم كاليغولا متوعكاً يصارع أنفاسه ، إذا به يفتح عينيه و يُظهر غرزتيه ، لتسيل الضحكات من شدقيه ، و يضرب كفاً بكف و ينادي حاجبيه ، و فارساً بسيف في يديه ، ليقول لهم ، اسلبوا من ذلك الوزير أمواله فقد افتداني بها ، و اسلبوا من ذاك الوزير روحه فقد منحها لأجلي ، و ذلك كان أحد مواقف الجنون البين الذي مارسه كاليغولا على أقربيه و رجال دولته.

مجاعة غير مسبوقة نزلت بأرض روما ، مجاعة تهادت في أمعاء الناس فغدت من بعدها خاوية تتخبط بالمغص ، فصار بين البطن و الظهر عظم و جلدتين تكسوهما ، يخرج الناس في روما سراعاً كأنما أتوا من الأجداث و إلى نُصُب الطعام يوفِضون ، زاغت أبصارهم و ذابت أجسادهم و تململ من الجوع صغارهم ، و من شرفات القصر عيون شبح تنظر لآهات الناس في انتشاء و غبطة ، لسان مهووس يقول أنا سأحل محل الطاعون ، فقط لأنه كاليغولا ، فقط لأنه فقد لبّه و فقد ضميره ، فقط لأن اللوثة تملكت عقله ، فقط لأجل أن يدون التاريخ أنه في عهده حلت بروما مجاعة قاسية ، و بذلك يَعلق اسمه في عقول الأجيال ، فاقترف تلك الجريمة بحقهم و أوصد مخازن الغلال أياماً في وجوههم مسبباً المجاعة.

حفلة عظيمة توافد إليها الأعيان ، احتفاءً بالحصان !، أجل فقد كانت ليلة تنصيب جواد كاليغولا (تانتوس) عضواً في مجلس الشيوخ ، و المائدة وفيرة و كبيرة ، يرتصف على سطحها صحائف القش و التبن و الشعير ، غذاء

الحصان و غذاء التابعين الذين لا يملكون من خوفهم عقلاً كالحصان ، أمرهم كاليغولا أن يأكلوا تبناً و قشاً ، فتلقوا أمره على مضض لكنهم أكلوا و ما أنفوا ، ملئوا أفواههم من علف الجواد إلا واحداً أبى الرضوخ لسفاهة كاليغولا ، يدعى(براكوس) ، سخط عليه كاليغولا و أصدر فرماناً بعزله و طرده ، فهلل الحاضرون و تناثر القش من أفواههم ، لكن براكوس في تلك اللحظة كان قد اقتلع حذاءه و رماه بكل حنقه على حصان كاليغولا ، و أخذ يصرخ في الكبراء و يؤجج مشاعرهم ، و قد أرهقهم كاليغولا بحماقاته وسلوكه المشين ، ففاض كأسهم بآخر قطرة جعلهم بها كاليغولا كالأنعام يُعلفون ، فقاموا و انقضوا جميعاً على كاليغولا ، بل و شاركهم فريستهم جنود كاليغولا نفسه ، و وجد الامبراطور نفسه تحت الأقدام و النعال ، تضرب فيه بكل غل ، بكل مقت ، بكل ما ذاقوه من جنونه ، و لما تبددوا من حوله ، يمكنك أن تتخيل كيف غدا كاليغولا بعد هذه المعجنة ، مضرجاً سابحاً في دماءه ، و قد طعنوه ثلاثين طعنة بعدما أوسعوه ضرباً ، و قد تشفوا منه و تشفى منه كل شعب روما.

مقدمة عن عمرو بن هشام و الأحداث النبوية.

عام ٥٧١م أنجبت آمنة بنت وهب قرة أعين المسلمين و نور الكون و خاتم الأنبياء (محمد صلى الله عليه و سلم) ، ولد النبي في عام الفيل عندما أمطرت السماء بطيرها الأبابيل أحجاراً بقدر حبة العدس أهلكت أبرهة الحبشي و جيشه قبل أن يمسوا الكعبة ، أرضعته حليمة السعدية و شقت الملائكة صدره عندما بلغ ٤أعوام ، توفيت آمنة عندما بلغ رسولنا ٦ سنوات و توفي جده عبد المطلب و هو في عمر ٨ سنوات فتكفله عمه أبو طالب ، عندما بلغ النبي ١٢ سنة رآه بحيرا الراهب مع عمه و تنبأ له بشأن عظيم ، في عمر العشرين شهد النبي حرب الفجار في الأشهر الحرم ، و عندما بلغ الخامسة و العشرين تزوج بالسيدة خديجة ، عندما بلغ ٣٥ سنة حكم بين القبائل في وضع الحجر الأسود بالكعبة ، في السابعة و الثلاثين بدأ المصطفى يخلو و يتعبد بغار حراء و بدأت تزينه علامات النبوة ، في عمر الأربعين في ليلة السابع و العشرين من رمضان نزل عليه الوحي و نزلت أول آيات القرآن(اقرأ) ، بدأ ينذر و يدعو عشيرته الأقربين للإسلام ، ظل يدعو سراً في بيته ثم في دار الأرقم لمدة ثلاث سنوات ، ثم جهر صلى الله عليه و سلم بدعوة أهل مكة إلى الدين الحنيف فلقي منهم التكذيب و التهديد و الإيذاء و التعذيب و وصفوه بالساحر و المجنون و الكاذب و على رأس من كذبه و عاداه و سخر منه و ابتغى قتله كان عمرو بن هشام(أبو جهل).

عمرو بن هشام المخزومي القرشي الذي لقبه الرسول بأبي جهل ، ولد عام ٥٧٢ م أي بعد عام واحد من مولد النبي ، كان سيداً من أسياد قريش من قبيلة كنانة ، و كان من أشد أعداء النبي و ممن تميزوا غيظاً من الإسلام ، كان يتصف بالحكمة قبل الإسلام حتى أنه دخل دار الندوة التي يجتمع فيها شيوخ قريش و هو شاباً في الخامسة و العشرين ، لكنه قد غادرته الحكمة و التعقل

بعد ما سمع بدعوة محمد عليه الصلاة و السلام و أصبح يؤذي النبي و المسلمين في كل مكان و يتصدى لنور الإسلام في كل وقت ، قد دعا له النبي بعزة الإسلام لكنه لم يصدع للحق و ظل على شركه و عناده حتى قتله المسلمون في غزوة بدر(٢هجرياً ، ٦٢٤ م) و هو في عمر ٥٤.

وضعه بين السفاحين المائة ليس لأنه سفك دماء الكثيرين ، أبو جهل لم تتلطخ يداه بالدماء كسابقيه أو لاحقيه من قصصنا ، لكنه حاول قتل النبي أكثر من مرة ، عذب المسلمين عذاباً شديداً ، ألّب النفوس و أثار قريش على النبي مراراً ، أذاق الويل لآل ياسر ، إن كان أبو جهل قتل صحابياً واحداً فحق علي أن أضعه هنا ، إن كان أبو جهل تجرأت يداه الملعونة على النبي و لسانه المشئوم على النبي و سيفه و سوطه على أصحاب النبي أولا يستحق وضعه ضمن السفاحين المائة.

إليكم خمس مواقف لأبي جهل بعد بعثة النبي صلى الله عليه و سلم...

(١٢)عمرو بن هشام(أبو الحكم)

أبو جهل

(٥٧٢-٦١٢م)

(١)

دار الندوة بعد انتشار دعوة النبي.

معقل الكفر و المكائد... مسرح الشياطين و مؤتلف المشركين...بها تلاقت نعرة الجاهلية و نزعة القبلية و تألبت النفوس و ثارت... حيث حام زبانية إبليس فوق رؤوسهم و بين أيديهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم...فاحتنكوا عقولهم و رموا الإسلام بهم...منصة أبي جهل و منبره ، سقيفة أبي لهب و عقبة بن أبي معيط و أمية بن خلف و زنادقة الجاهلية كلهم.

إن محمداً لساحر...إنه لكاهن...إنه لشاعر...إنه لمجنون...إنه يختلق لنا أساطير الأولين...يتنزل عليه الجن و الشياطين...لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم...شرف النبوة يليق بعروة بن مسعود أو الوليد بن المغيرة و ليس لفقير من بني عبد مناف...قالوا كل شيء...رموا الشريف و نعتوه بكل شيء ، و عندما تلا الرسول سورة النجم على مسامعهم في جوف مكة لم يتمكنوا من منع جوارحهم و خروا سجداً لكلام الله خاضعين خانعين للحق.

و الله إن لقوله لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمُغدق و إنه يعلو و لا يُعلى عليه...تلك كانت كلمات عم أبي جهل(الوليد بن المغيرة) عندما سمع من الرسول آيات سورة غافر ، و قبل أن تستقر الآيات بروحه فيُسلم ، لحقه أبو جهل و رده إلى مستنقع الوثنية ، فجاء ابن المغيرة دار

الندوة و خطب فيهم أن محمداً ساحراً يأثر بكلماته القلوب و يُسكر بها العقول...يفرق بها بين المرء و زوجه... فكر و قدر...عبس و بسر...أدبر و استكبر...قال إن هذا إلا سحر يؤثر...انتكس بعد أن كادت دعوة الرسول تصيبه... فكان مصيره ناراً لا تبقي و لا تذر...كان مثواه عند الله سقر.

في دار الندوة قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد سب آلهتنا و سفه أحلامنا و عاب ديننا و شتم آباءنا ، في دار الندوة قد أقسم باللات و العزة أن يطأ عنق النبي و يعفّر وجهه إن رآه يصلي ، في دار الندوة دبر مكيدة لقتل النبي يهنأ لها إبليس عندما استجلب من كل قبيلة رجلاً فتياً و أرسلهم لدار محمد كي يضربوه جميعاً ضربة سيف يتفرق بها دمه بين القبائل فلا يتمكن بنو عبد مناف من الثأر له.

(٢)

النبي يصلي عند الكعبة.

بينما كان النبي يتضرع لربه عند الكعبة...يركع و يسجد...يتلو القرآن...و عندما نزل الحبيب لسجدته الأخيرة و قد ألصق وجهه الطاهر بالأرض...فعانقت جبهته و أنفه التراب لتسبّح كل ذرات التراب من تحته ، كان هناك من مكان قريب يرمقه الشيطان بعين غادرة...و اقترب من محراب النبي ماشياً الهوينى...عمرو بن هشام مريد قريش أخذ يطأ الأرض بخطوات ماكرة دانياً من نبي الله الذي انهمك في الصلاة و لا يبالي...حاملاً حجراً ضخماً بكلتا يديه...و إن إبليس ليحسد أبي جهل و هو يراه سيكرر الجريمة الأولى...جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل بحجر...و عندما كان قاب قوسين أو أدنى من رسولنا محمد...انتهى دور الشيطان و تعثر في خزيه عندما أبصر كيف يذبُّ الرحمن عن رسوله المجتبى...أخدود شق الأرض أمام أبي

جهل...خندقٌ من هول و جحيم...نارٌ تأججت و تاقت لإحراق رأس الكافرين...كل بطون قريش رأت أبي جهل يفزع و يجزع و يهرع و يصرخ و هم لا يعرفون لذلك سبباً...رأوه ينكص على عقبيه و يفر إلى حيث أدراجه...فرار النمرود من جيش البعوض...فرار أبرهة من جيش الأبابيل...يعود للكافرين فيسألونه ماذا دهاك؟ ، فيجيبهم لقد رأيت مشهداً من الجحيم...ملائكة ثائرة تريد أن تنتزع أحشائي و نار تتوق لتمزيق أمعائي و فحل عظيم من الإبل كشر عن أنيابه ليأكلني،،،

قال النبي لأصحابه: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً.

(٣)

الكفار يضطهدون المسلمين.

المشهد الذي سأقصه عليكم لهو مشهد عظيم في تاريخ الإسلام ، مشهد الجود بالروح لرفعة ذلك الدين ، مشهد آل ياسر في قبضة أبي جهل ، الأسرة المؤمنة التي بشرها رسول الله بالجنة و أقدامها على الأرض ،

عمار بن ياسر و أبيه و أمه سمية كانوا عبيداً لبني مخزوم و أسلموا جميعاً. في الصحراء و تحت لهيب الرمضاء أحكم أبو جهل وثاقهم ، الشمس فوقهم في ذروتها تلفح أجسادهم العارية ، السياط تهوي على الظهور...الصخور الحامية فوق الصدور...جف اللسان والحلق من العطش الشديد...نحلت الأجساد من الجوع المميت...الكفار لا يكفون عن شتمهم و التفل في وجوههم...عد لدينك يا عمار...عد لشركك يا عمار...سُبَّ محمد يا عمار...أبوك و أمك بين أيدينا...هؤلاء العجائز لن يطيقوا عذابنا...عمار يأبى و يستعصم...أبو جهل يمسك برأسه و يغرقها في المياه الساخنة...تكاد أنفاسه تنقطع تحت الماء...يرفع رأسه فيتنهد عمار نهماً للهواء...لكنه يأبى و

يستعصم...أبو جهل يلهبه بالسوط...أبو جهل يخنقه بالحبل...وعمار يأبى و يستعصم ، يرى أبيه يلفظ أنفاسه الأخيرة...جسده الواهن لا يتحمل... يكاد ينتكس و يرتد... فتثبته سمية و تربت على كتفيه...و تتعالى التكبيرات وسط سكون الصحراء الموحش.

هنا شيطان قريش يحمل رمحاً...يتجه نحو سمية...تستقبله بثغر مبتسم و روح تتوق للشهادة...عمار يصرخ لا تفعل...سمية تقول له فلتفعل...و الله إنك لعندي أهون من الجعل على قمامة...بقر بطنها و غرز الرمح في أحشائها...فيض دموع و دماء... جفاف قاحل في الصحراء... جفاء في قلوب المشركين...سكينة الملائكة تروى قلوب من هم للشهادة عاشقين...سمية كانت أول شهيدة في الإسلام...طوبى لها و بشراها ، و من بعدها أسلم ياسر روحه للملائكة فلم يتحمل شدة التعذيب...و آل ياسر يذودون عن الإسلام في مشهد لا تنساه عقول المؤمنين ، هنا عمار ينطق بلسانه و يأبى قلبه...فتت موت أبويه روحه فمدح اللات و العزى ، ثم أطلق أبو جهل سراحه ، فعاد باكياً لرسول الله نادماً ، فأنزل الله قرءاناً يتلى إلى يوم القيامة...قلبك كان مطمئن للإيمان يا عمار فلا تكترث بما نطق به لسانك.

هذا مثال بسيط لما فعلته قريش بالمسلمين و هناك الكثير:

١.عثمان حبسه عمه في غرفة مظلمة و قيده.

٢.مصعب بن عمير منعت أمه عنه الطعام و الشراب ثم طردته.

٣.صهيب بن سنان عذبوه حتى كان يفقد وعيه و يغيب عقله.

٤.بلال بن رباح كان يقيده أمية في الحر و العطش و يضع فوق قلبه صخرة عظيمة و يطوق عنقه بالحبال و يسلمه للصبية يجرونه.

٥.خباب بن الأرت كانت مولاته تكوي ظهره و رأسه بحديد منصهر.

٦.أبو بكر و طلحة رُبطا بحبل واحد و نكّل بهما نوفل بن خويلد.

٧.حاول الكفار منع المسلمين من الهجرة إلى الحبشة و عندما هاجروا أرسلوا خلفهم عمرو بن العاص ليردهم لكن النجاشي رفض.

تحمل المؤمنون و المؤمنات منهم كل فنون الاضطهاد ، فصبروا و احتسبوا حتى أتم الله دينه.

(٤)

أبو جهل و قريش يؤذون رسول الله.

لم يسلم نبينا منهم بالقول و الفعل ، أما القول فقد قالوا عنه الكثير كما ذكرنا آنفاً و أما الفعل فقد آذوه مراراً و من هذه المواقف:

١.أبو جهل مر بالرسول يوماً عند الصفا فاستهزأ به و نال منه ، ثم ضربه بحجر على رأسه فشجه...نزف الدم من رأسه الشريف...سمع أسد الله(حمزة) بما فعله أبو جهل برسول الله ، كان عائداً من الصيد...متوشحاً قوسه...سمع الخبر فانتفض قلبه...انطلق كالسهم نحو أبي جهل...شقي هو من يستثيرك يا حمزة...كيف لأبي جهل الأحمق أن يعبث بفوهة البركان ، شق حمزة الصفوف رافعاً قوسه...أبو جهل رآه فازدرد ريقه بصعوبة...حمزة ما زال يقتحم الجموع حتى وصل لأبي جهل... و إذا به يقول كيف تؤذيه و أنا على دينه...و بقوسه الحاد هوى على رأس أبي جهل...بين بني مخزوم لم يبالي...تدفق الدم منه و شجت رأسه...ثم قال أبو جهل لقومه الغاضبين دعوه...قد شتمت ابن أخيه ...دعوه فإنه حمزة...لا قبل لكم بحمزة.

٢.بعد البعثة طلق عتبة و عتيبة أبناء أبي لهب بنتي رسول الله رقية و أم كلثوم بأمر من أبيهما.

٣.كان أبو لهب يضربه بالحجارة و ينعته بالأبتر و كانت زوجته تضع الشوك في طريقه و تسبه و تهزأ منه.

٤.وضع عقبة بن أبي معيط سلا جزور على رأسه الطاهر و هو يصلي فجعل أبي جهل يضحك و يتمايل مع المشركين ، و سلا الجزور هي ما يلف جنين الجمل من الجلد و الدماء أو رحم الشاة ، أيضاً ذلك الشقي وطأ عنقه و هو يصلي حتى كادت عيناه الكريمتين تبرزان ، و أيضاً خنقه خنقاً شديداً بثوبه في إحدى المرات .

٥.عتيبة بن أبي لهب شق قميص النبي و تفل عليه.

٦.حبسوه و أهله عليه الصلاة و السلام في شعب أبي طالب و حاصروهم و قاطعوهم و منعوا عنهم الطعام و المؤن طيلة ثلاث سنوات حتى كانوا يأكلون الأوراق و الجلود ، و حتى كان يُسمع من وراء الشِعب الأطفال و النساء يتضاغون من الجوع ، و كان شرطهم لرفع الحصار أن يمنح بنو هاشم جوهرتهم الثمينة محمد لأيدي المشركين.

٧.عندما دعا النبي في الطائف تسلط عليه سفهاء القوم يسفهون منه و يرجمون عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء.

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، و قلة حيلتي ، و هواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين و أنت ربي ، إلى من تكلني؟ ، إلى بعيد يتجهمني؟ ، أم إلى عدو ملكته أمري؟ ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، و لكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، و لا حول و لا قوة إلا بك......اللهم عليك بأبي جهل ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بعتبة و شيبة و الوليد بن عتبة

و أمية بن خلف....اللهم سلط على عتيبة بن أبي لهب كلباً من كلابك.......كذلك كان يشكو النبي لربه ما ألحقته قريش به من أذى....لم يذر الرب نبيه و استجاب له دعواه.

عتيبة بن أبي لهب التهم الأسد رأسه و هو بالشام فقال قتلني محمد و هو بمكة ، و الباقون ممن دعا عليهم النبي بأسمائهم لقوا حتفهم جميعاً في غزوة بدر الكبرى ، و إليكم مشهد هلاك رأس الكفر أبو جهل.

(٥)

مقتل أبي جهل و غزوة بدر.

في العام الثاني للهجرة حدثت أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام (غزوة بدر الكبرى) ، من شدة ما أصاب المسلمين من الإيذاء و التعذيب وجد رسول الله أن صدى دعوته لن يُسمع في تلك الأرض و هم بالهجرة ليثرب(المدينة) في العام الثالث عشر للبعثة .

غزوة بدر ليست أولى الغزوات فقد سبقها غزوات و سرايا لم يحدث بها اقتتال حقيقي لكنها كانت تمهيداً لتلك المعركة الكبرى ، سبقها أربع غزوات ، غزوة الأبواء و غزوة بواط و غزوة سفوان و غزوة ذي العشيرة و أربع سرايا أيضاً ، ثم أنزل الله القرآن يحث المسلمين على القتال و يربط على قلوبهم و يثبت أقدامهم و يعدهم بنصر حاسم.

أغار المشرك كرز بن جابر الفهري على مراعي المدينة و نهب بعض المواشي ، فخرج له رسول الله في سبعين رجلاً(غزوة سفوان أو بدر الأولى) لكنه لم يدركه ، و كنتيجة حتمية لاضطهاد المشركين للنبي و أصحابه و مكائدهم المستمرة لأجل إبادة المسلمين و وأد الدين و تحجيم انتشاره ، كان حتماً على المسلمين النفور للجهاد.

كان أبو سفيان عائداً من الشام يسوق عيراً تحمل ثروات طائلة و بضائع لمشركي مكة ، فكانت تلك فرصة ذهبية للمسلمين لضرب اقتصاد الكفار في مقتل ، ضربة تقصم ظهورهم و تقد مضجعهم ، فخرج الرسول على رأس جيش قوامه ٣١٤ رجل من المهاجرين و الأنصار يعترضوا طريقه.

كانت قوة المسلمين في بدر ٣١٤ مقاتل و فَرَسَان فقط و سبعين بعيراً و كان لواء القيادة مع مصعب بن عمير ، و عندما علم أبو سفيان بقدوم جيش المسلمين أرسل ضمضم بن عمرو يستصرخ أهل مكة بالنفير لعيرهم و ذهبهم قبل أن يقع بأيدي المسلمين...يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة...الغوث الغوث...أدركوا أبا سفيان ، فخرجت قريش في جيش قوامه ١٣٠٠ مقاتل و مائة فرس و عدد لا حصر له من البعير ، و كان قائدهم العام هو عمرو بن هشام(أبو جهل)....النهاية يا أبا جهل...حيث يمحق الله ذكرك.

تمكن أبو سفيان من النجاة من المسلمين فقد سلك طريقاً آخر غير طريق بدر الرئيسي ثم أرسل للمشركين يخبرهم بأن بعيرهم نجت من المسلمين و لا خير في القتال ، فانشق عن المشركين ٣٠٠ فارس من بنى زهرة و عادوا لمكة ، بينما ثبت أبو جهل البقية و ألهب قلوبهم بقتال المسلمين...لن نرجع حتى ندحر محمد...لن نرجع إلا ظافرين...ننحر الجزور...نطعم الطعام...نعزف القيان...نتجرع الخمور...يسمع العرب بنا فيهابوننا...عناد أبي جهل قتله.....أما ما وجده محمد من المسلمين أن قالوا له...اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

تراءى الجمعان...يوم الفرقان...في أرض بدر...ثلاثمائة ضد ألف...الإسلام ضد الكفر...التوحيد ضد الشرك...الملائكة ضد الشياطين...اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض.

دارت رحى المعركة...الرسول يبتهل لربه حتى سقط رداءه عن منكبيه....تبدأ

المبارزة...حمزة يقتل الأسود بن عبد الأسد...علي يقتل الوليد بن عتبة...حمزة من جديد يقتل شيبة بن ربيعة...عبيدة بن الحارث يتبادل الضربات مع عتبة بن ربيعة فيقتل كل منهما الآخر....

حمي الوطيس...احتدم القتال...الله لا يذر عباده المؤمنين...ألف من الملائكة يتنزلون بسيوف من نور يقاتلون المشركين...جبريل يأخذ بعنان فرسه و يفتك بالكافرين...أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله....بخٍ بخٍ...لئن حييت حتى آكل تمراتي لهي حياة طويلة...بخٍ بخٍ...الكفار لا يفقهون من أين تأتي تلك السيوف...ينظر المرء ليده تقطع...لا يدري من قطعها...الرؤوس تتطاير...يا ويحي من فصلها عن جسدها...جيش من السماء...جمع الكفار يُهزم و يولون الدبر...إبليس يفر من أرض المعركة يتبرأ من المشركين...إن كانوا لا يدركون من يقاتلهم فإنه يعرف حق المعرفة...رأى جبريل و إسرافيل و ميكائيل يستأصلون شأفة الكافرين...إني أرى ما لا ترون أيها الأشقياء...جيش يردف من السماء.

أبو جهل ما زال يكابر...لا يهزمنكم محمد...لا يهزمنكم خذلان الشيطان...لا يهولنكم قتل عتبة و شيبة و الوليد...و اللات و العزى لن نرجع حتى نقرنهم بالحبال...غطرسة و كبرياء...المسلمون كالتيار يجتاح جيش الكفر حتى ظهر لهم أبو جهل...عصبة من حوله يدرئون عنه و يحمونه...معاذ و معوذ يخاطبون عبد الرحمن بن عوف...أين أبا جهل يا عماه؟...أين طاغية قريش؟...أين من سب رسول الله؟...أين من قتل سمية؟...فتيان صغيران و زنديق كبير...يتقدم الصبيان نحو جالوت العرب...يحملون الموت و الدماء...ضربه معاذ فقطع رجله فزاد عنه ولده عكرمة قبل أن يجهز عليه معاذ...ثم أتاه معوذ...فوجد أبي جهل يتألم...يئن تحت لهيب الشمس اللافح...و العرق ينضح من جبهته... ضربه الفتى الصغير بالسيف للمرة الثانية...سقطت

الفريسة بأيدي جلاديها...بعد أن تلقى ضربتين قاتلتين لم يمت بعد...أبو جهل ما زال ينازع روحه...يرى الدم يفور من جسده...يرى الموت يظلم أفقه...و يرى عبد الله بن مسعود يتقدم نحوه...يضع قدمه على عنقه...تلك الساق يا أبا جهل التي سخرت منها...رأسك تحت قدم رويعي الغنم كما وصفت...أخزاك الله يا عدو الله...لمن الدائرة اليوم؟...لله و رسوله...سيف ابن مسعود يجز عنقه...عبد الله حمل رأسه لرسول الله بين صيحات التكبير...و هلك فرعون الأمة...نصر الله عبده و أتم وعده و هزم الأحزاب وحده.

قتل المسلمون سبعين رجلاً من الكفار بينما استشهد أربعة عشر صحابي في غزوة بدر الكبرى.

جثث رؤوس الكافرين ألقاها الرسول في بئر جافة مهجورة و أهال عليهم التراب ، أمية بن خلف قتله بلال بن رباح فانتفخت جيفته و تركه المسلمون موضع هلاكه و ألقوا عليه التراب و الحجارة عندما صعب عليهم تخليص درعه من لحمه ، ناداهم الرسول...يا أبا جهل.. يا أمية بن خلف.. يا شيبة.. يا عتبة.. يا وليد بن عتبة...هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً...فإني وجدت ما وعد ربي حقاً.

مقدمة عن عامر بن الطفيل و حادثة بئر معونة.

عامر بن الطفيل كان من قبيلة هوذان من بني عامر حيث سكنوا أرض نجد ، و كان من شعراء الجاهلية و سيداً على قومه ، ولد عام ٥٥٣ م أي كان يكبر النبي ب ١٨ عام ، أدرك الإسلام شيخاً في أرذل العمر فلم يسلم ، كان فتاكاً في الحروب و خاض الكثير مع المعارك و أظهر بسالته ، قيل أن قيصر الروم كان يسأل القادمين من العرب عنه لما اشتهر به من الفروسية ، كان يحسن الشعر و غلب على قصائده الفخر و الحماسة ، و كان أعور العين و عقيم فلم ينجب أولاداً ، دبر مؤامرة لقتل رسول الله مع أربد بن قيس لكن الله رد كيده في نحره ، أوقع بسبعين من الصحابة في مأساة بئر معونة و سفك دمائهم فانتقم الله منه شر انتقام و مات بالطاعون عام ٦٣٠ م.

بئر معونة أرض بنجد شرقي المدينة بين بني عامر و بني سليم ، قدم أبو براء عامر بن مالك(ملاعب الأسنة) لرسول الله بعد غزوة أحد فعرض الرسول عليه الإسلام فلم يعطه رداً حازماً ، لم يقبل و لم يرفض ، لكنه طلب من النبي أن يرسل صحابته لأرض نجد يدعون قومه إلى الإسلام ، تخوف النبي من غدر أهل نجد ، لكن عامر بن مالك وعده أن يمنع عنهم أي أذى ، فأرسل النبي ٧٠ صحابياً على رأسهم المنذر بن عمرو في العام الرابع للهجرة بعد ٤ أشهر من أحد(٦٢٤ م) على الأغلب ، فنزلوا عند بئر معونة و كانوا من خيار صحابة رسول الله و من فضلائهم و قرائهم ، فكانوا في طريقهم يحتطبون بالنهار و يتدارسون القرآن ليلاً فيما بينهم ، حتى وصلوا لبئر معونة و أرسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل.

إليكم خمسة مواقف في قصة السفاح الثالث عشر (عامر بن الطفيل).

(١٣) عامر بن الطفيل

مأساة بئر معونة

(٦٢٤م/٤ هجرياً)

(١)

ملاعب الأسنة بين يدي رسول الله بالمدينة.

لا تدري أكان الغدر شيمته أم غلبه غدر عشيرته؟ ، أخيرٌ كان أم شرٌ وراء قول عامر بن مالك لرسول الله أن أرسل أصحابك لأهل نجد يدعون للإسلام؟ ، يبدو أن ابن الطفيل همس في أذنه بتلك الكلمات ، يبدو أنه كان ينقل ما وضعه ابن الطفيل في فمه ، ماذا كانت فحوى كلماته؟ ، ربما جمعته بابن الطفيل قرابة الغدر بعد قرابة الأرض و النسب.

يا رسول الله لو بعثت أصحابك لأهل نجد لكان خيراً...يا عامر إني أخاف عليهم أهل نجد...أنا جارٌ لهم يا رسول الله...أنا أذود عنهم...أنا كفيلٌ بهم...سيد القوم لا يُضام...أهل نجد يدركون من أنا...كلماتي سيف على أعناقهم...يا عامر إني أخاف عليهم أهل الغدر...أنا جارٌ لهم يا رسول الله...سيُجيب قومي دعائك...سيكرمون رسلك...سيدخلون دينك...سينساقون لأمرك.

أراد الله ذلك ، أن يرسل رسول الله ٧٠ من أصحابه لبني عامر و بني سليم ، لم يعلم عليه الصلاة و السلام بوقيعة عامر بن الطفيل و لعل قلبه المنير تخوف من عاقبة ذلك الأمر ، لكن شاء الله و تحت مشيئته يتحرك الكون كله ، فأتى الصحابة بئر معونة و أرسلوا حرام بن ملحان لعامر بن الطفيل.

(٢)

حرام بن ملحان في دار عامر بن الطفيل.

يقف حرام بن ملحان أمام عامر...يحمل بين يديه كتاب رسول الله...ثم يدفعه لعامر بن الطفيل...عدو الله لم يفتح رسالة النبي...عدو الله قد تهيأ للغدر...قلبه يدفع الدم لشرايين الغدر...لسانه مضغة من غدر...عينه يشع منها الغدر ...حرام بن ملحان لم يدرك في بيت من يكون...إن قدميه على أرض تحتها شياطين...إن رأسه تحت سقف تتشبث به شياطين...أمامه زعيم الشياطين...و من خلفه عبيد زعيم الشياطين...يغمز عامر بن الطفيل بعينه...يعلم الله خائنة عينه لكن حرام بن ملحان لا يعلم...جسده و روحه يتهيأن للشهادة...بينما كان حرام بن ملحان ينظر صوب عامر مولياً ظهره لقطعانه الضالة...إذا به يشعر بشيء يخترقه...يشعر بشيء يُمزقه...يشعر بشيء يفصل أحشاءه...يتنهد يتألم يضحك...يحرك عينيه ببطء ناحية الأرض...يُثني رأسه ناحية الأرض...يجثو على ركبتيه راكعاً فيتلطخ ثوبه بدمائه...هنا قد رأى الرمح المدبب
يستقر...طعنة نافذة من ظهره لبطنه...قطرات دمه و دموع فرحه
يمتزجان...عندها نطق حرامُ الشهادة...بعث لعدوه بسمات النصر...رمقه بعين النصر...فزت و رب الكعبة يا صاحب رسول الله...يا ابن الطفيل...خسئت و رب الكعبة...في نحرك سيرد الله كيدك...و تلك كلمة صادقة.

بعد أن قتلوا حرام بن ملحان ، هب عامر بسيفه و فرسه و استنفر قومه لقتال صحابة رسول الله عند بئر معونة ، فأجابه عصبة من قومه و انطلقوا ليقيموا مذبحة و مأساة بحق صحابة رسول الله.

(٣)

مذبحة عند بئر معونة.

بينما يتلون القرآن...دائرة من الملائكة تحوطهم...السماء صافيةٌ تُسبّح من فوقهم...و فجأة...ماذا يحدث؟... الملائكة تذهب...السماء تتلبد بها
الغيوم...إبليس و زبانيته يتوافدون...عامر و عصبته يحاصرونهم بدائرة

منغلقة...يتحلقون حولهم...منذ قليل كانت الملائكة تصنع الدائرة...لكنها غادرت... الرحمة غادرت...الغدر في كل مكان...قلوب ساخطة ماقتة في كل مكان...سيوف تلمع بأيدي الحمقى...الصحابة ظهر في ظهر...كتف إلى كتف...الدائرة تضيق أكثر...الكافرون يقتربون

أكثر...انفجار...اقتتال...غدر...يتساقط الصحابة واحداً تلو الآخر...الطير في السماء يبكي...النمل على الأرض يبكي...الشجر و الحجر يبكي...أصوات التكبير تصدح...دماء من الشريان تنزف...سبعين شهيداً من خير الصحابة..لم ينج إلا كعب بن زيد...مذبحة تفت في عضد دولة الإسلام الناشئة...مصاب فادح...نكبة كبيرة...تألم النبي و حزن حزناً شديداً...ظل يدعو على ابن الطفيل و كلابه ثلاثين صباحاً...دعاء في غسق الفجر...دعاء فتك بابن الطفيل فيما بعد.

(٤)

عامر بن الطفيل و أربد بن قيس عند رسول الله.

ستة أعوام يا ابن الطفيل...ستة أعوام على المأساة...أنت الآن عند رسول الله...لقد ازدهر الإسلام الذي أردت أن تفنيه...من جديد تأتي حاملاً الغدر في صدرك...لا يدري عامر في دار من يكون...إن قدميك على أرض تحتها ملائكة...إن رأسك تحت سقف تتشبث فيه ملائكة...أمامك نور الملائكة...و خلفك أصحابه...لن تجد هنا من يغرز رمحه في دبرك فيفتك بأحشائك...لن تجد هنا خائنة الأعين...لكنك تحمل الغدر في صدرك يا ابن الطفيل...لقد سمع الله قولك لأربد بن قيس ، سأشغل عنك وجه محمد و عليك أن تباغته بسيفك فتقتله...أيذر الله رسوله تحت رحمة سيفك؟...أيذر الله حبيبه لزنديق زنيم؟.......

يأتي الماكران لرسول الله...عامر يقول خالني يا رسول الله...اتخذني رفيقاً يا

رسول الله...أشركني في غنائم دولتك يا رسول الله و لسوف أُسلم...لا و الله يا عامر حتى تسلم أولاً.........أربد بن قيس تصلب الدم في عروقه...
من جديد عامر يقول...خالني يا رسول الله...امنحني ودك يا رسول الله و لسوف أسلم...لا و الله حتى تسلم أولاً يا عامر.....أربد بن قيس متجهم...تيبست أصابعه على سيفه...خلجات أفكار عامر كلها مقت و سخط على صديقه الذي أضاع فرصته لقتل محمد ، ثم بعد أن استيأس عامر من رفيقه رحل عن النبي...رحل إلى هلاكه...رحل يحمل كيده في نحره...تلك كلمة صادقة....عندما يقول الرسول اللهم اكفني عامر بن الطفيل فإن الله لا يرد دعاء الأنبياء...لقد قال أربد لعامر لم أر غيرك أمام عيني...أنظر يميناً لا أرى سواك...أنظر يساراً لا أرى سواك...لم أسمع سوى صوت محمد...لم تر عيني محمد...هناك من ثبتني في موضعي بالأوتاد...عقلي أراد أن يحرك جسدي...عقلي أراد أن يحرك سيفي...لكن جسدي و سيفي أبيا أن يتزحزحا قيد أنملة...يدي لم تطاوعني يا عامر.

(٥)

هلاك عامر بن الطفيل.

في دار امرأة من بني سلول نزل عامر...يقولون أنها كانت فاجرة و طردها قومها لذلك...إذاً لابد أنه أتاها ليفضي شهوته لديها...لكنه أتاها مثقلاً بلعنات و دعوات...أتاها محمّلاً بأوزار السنين...أتاها على ياقته دماء سبعين...منذ وهلة كان يريد أن يقتل نبياً...ظن أن الله سيذره ليلة أخرى ينعم فيها...لقد أخّرك الله كثيراً يا ابن الطفيل...سأروي لكم المشهد كاملاً.....
غُدّةٌ في بيت سلولية...كغدة صغير الإبل...بينما هو جالس عندها...إذا به يتحسس عنقه...عيناه شاخصة خائفة...قلبه يرتجف تحت أضلعه...كأن جمرة ملتهبة تستقر بحلقه...جمرة خبيثة مميتة...غصّة حلق تعوق نزول ريقه

لمعدته...هنا ينهض من على أريكته...يده تضغط بقوة على موضع الألم...كأن ناراً سقطت في جوفه...لقد أرسل الله عليه طاعوناً لا نجاة منه...طاعوناً ينخر في حلقومه...ثم يتسمم من دمه...ثم تتدمر منه أعضاءه...نهض مسرعاً و امتطى فرسه...يريد أن يفر من الموت...لا فرار من قدر الله يا ابن الطفيل...لفظه الفرس و طرحه أرضاً...ركضه و داسه بحوافره...و ما زالت تلك حاله حتى لفظ أنفاسه الخبيثة...و هلك بالطاعون في بيت امرأة من بني سلول.

أما أربد بن قيس فأرسل الله عليه صاعقة أحرقته بعد يومين من هلاك عامر ، فما كان من بني عامر إلا أن أرسلوا وفداً لرسول الله و أعلنوا إسلامهم خوفاً من عقاب الله الذي حل بعامر بن الطفيل و أربد بن قيس.

مقدمة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أبو لؤلؤة المجوسي.

الفاروق عمر: ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل ب ١٣ سنة(٥٨٤م غالباً) ، قبل إسلامه كان شديد العداوة لرسول الله ، لكن بإسلامه أعز الله الدين به و أعزه بالدين ، هداه الله للإسلام في بيت أخته عندما وقعت آيات سورة طه بقلبه ، فذهب لرسول الله و أعلن إسلامه ، ففرح رسول الله فرحاً شديداً فهو يعلم من هو عمر بشدته و رفعته و مكانته بين القرشيين ، و إنه لفتح عظيم لإسلام عمر.

شد الله عضد المسلمين بعمر و جهر الرسول بدعوته بين جميع قريش دون مهابة ، عندما هاجر المسلمون خفية مخافة المشركين ، هاجر عمر جهاراً نهاراً قائلاً من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده فليلقني خلف هذا الوادي ، نزلت أكثر من أية في كتاب الله مصداقاً لقوله ، كان الشيطان يهابه ، بشره رسول الله بالجنة ، أحب رسول الله أكثر من نفسه التي بين جنبيه ، مناقبه كثيرة لا تسع لها الكتب و المجلدات ، بعد وفاة رسول الله لم يذر أبي بكر و أعانه على إدارة شئون المسلمين ، تولى خلافة المسلمين بعد أبي بكر فعدل و فرق بين الحق و الباطل و منع الفتن و رفع شأن دولة الإسلام.

بلغت الفتوحات ذروتها في عهد عمر ، كسر الروم في معركة اليرموك و فتح العراق و الشام ، دمشق و فلسطين و مصر و طرابلس ، و اصطدم بالفرس في معارك ضارية منها النمارق و الجسر و معارك القادسية و نهاوند الفاصلة التي أسقطت دولة الفرس و حاكمهم كسرى يزدجرد و قائد جيوشهم الماكر رستم ، تلك الهزيمة المخزية التي دفعت أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي للثأر من قائد إسلامي عملاق أخضع دولتهم بعد مئات السنين ، فتوحات عظيمة وسعت رقعة الدولة الإسلامية ، نور التوحيد وصل الآفاق في عهده ، وضع تحت أقدامه كنوز كسرى و ممالك هرقل و خزائن المقوقس ، و لا ننسى

عبقريته في السيطرة على طاعون عمواس الذي قتل ٣٠ ألف مسلم ، و بعد أن اجتاح طوفان عمر الأرض و أباد إمبراطورية الروم و فارس ، كان لابد من التآمر عليه لكبح جماح ذلك السيل الغاضب ، لإيقاف التوسع الرهيب السريع ، فكانت المؤامرة الكبرى على اغتيال الفاروق عمر من أعداء الدين من الفرس و اليهود ، فقتله غدراً أبو لؤلؤة و هو يصلي عام ٢٣هجرياً(٦٤٤م) .

أبو لؤلؤة المجوسي: يقال له أيضاً فيروز النهاوندي ، ولد في بداية القرن السابع الميلادي في نهاوند الفارسية ، عندما كانت الحروب قائمة بين الروم و الفرس أسره الروم عندما كان يحاربهم ذوداً عن دولته ، ثم قام المسلمون بأسره بعد ذلك من الروم و سُبي إلى المدينة المنورة عام ٢١هجرياً و أخذه المغيرة بن شعبة مولى عنده ، فعمل في صناعة الرحى و النجارة في المدينة ، أبو لؤلؤة كان مجوسياً كافراً يعبد النار و يبغض الإسلام ، فزع مما فعله عمر بملك فارس من إسقاطه و إركاسه لتلك الإمبراطورية العتيقة ، فأضمر حقداً و حنقاً لعمر و للمسلمين ، و كما عجزوا عن مجابهة المسلمين بالسيف فإنهم لجأوا للمؤامرة و الغدر و الطعن في الظهر ، فتوحد مع الهرمزان حاكم الأهواز الفارسي و أحد قادة كسرى المخضرمين ، الذي ادعى الإسلام بعد أسره لكي ينجو من القتل و مكث في المدينة يدبر المكائد ، و أيضاً مع كعب الأحبار اليهودي الذي تنبأ بمقتل عمر قبلها بثلاثة أيام ، و جفينة مولى سعد بن أبي وقاص النصراني ، و دبروا مؤامرة لقتل أمير المؤمنين ، مؤامرة رباعية ، عبد مجوسي و ملك فارسي و حبر يهودي و مولى نصراني ، و قد نجح أبو لؤلؤة في ذلك عام ٢٣ هجرياً لكنه لم ينجح في الإفلات من أيدي المسلمين هو و عصبته من المتآمرين.

إليكم خمسة مواقف للمؤامرة و مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١٤)أبو لؤلؤة المجوسي(فيروز النهاوندي)

الهرمزان
كعب الأحبار و جفينة
(٦٤٤ م / ٢٣ هجرياً)

(١)

أبو لؤلؤة يشكي مولاه لعمر بن الخطاب.

كان عمر رضي الله عنه يتجول بشوارع المدينة في أحد الأيام ، يتفقد أحوال الرعية ، حتى مر على خيمة فيروز النهاوندي و هو يصنع الرحى و السيوف ، فاستوقفه ذلك العبد المارق و خاطبه بخضوع...يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليّ غلّتي...قد أكل قوتي و فرض عليّ خراجاً كبيراً...يأخذ مني أربعة دراهم كل يوم...كلّمه أن يخفف عني.

سأله عمر...ماذا تصنع؟ كم من الأعمال تُنجز؟.... قال له أبو لؤلؤة...إني أعمل نجاراً...إني أعمل حداداً...إني أعمل نقاشاً...هاك السيوف من صنع يدي...هاك الرحى من صنع يدي...لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت......

خاطبه عمر...على كل ما تصنع...على كل ما تُجيده يداك...على كل ما يأتيك من رزق...فإن خراجك للمغيرة ليس بكثير...أربعة دراهم لمولاك عليك هينة...قد أحسن إليك حينما أخذك من سبي المدينة...قد فتح لك باباً للرزق و ما وصده...لا تتمرد على مولاك...اتق الله في مولاك...و لتصنع لي رحى تطحن بالريح يا أبا لؤلؤة........

صوت واهن مستكين...أعدك يا أمير المؤمنين...لئن سلمت!...لئن سلمت!...لأصنعن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق و المغرب.

غادره عمر و لم يجب له مطلبه...تركه يعضّ على يديه...تركه يتضور غيظاً...ألقى في جوفه حميماً ثم انصرف عنه...لم يخفف عنه خراجه...يمكنك سماع أناته تخرج من بين أسنانه...يمكنك أن ترى الجنون في عينيه...أكل عمر كبدي...مزّق عمر دولتي...شرّد في الأرض عشيرتي...ساقني معهم إلى مكة أرسف في أغلال الخزي...وسع عدله كل الأرض و لم يسعني...لكنني قد أقسمت لأخذ ثأري...بين السيوف قد صنعت خنجراً ذا رأسين حادتين...خنجر من صنع مريد حاذق...شحذته لأجلك يا عمر...سقيته بالسم لأجلك يا عمر...ثلاث ليالٍ يا عمر...بعدها ستبكي عليك كل الأرض يا عمر...بعدها ستمنح السماء و النار المقدسة للفرس و المجوس نزراً ضئيلاً من هيبتهم التي سحقتها تحت قدمك...بعدها سينجلي من عقولنا كابوسك المفزع يا عمر...سأرسل إليك كعب الأحبار يخبرك بكلمات من التوراة كتبناها معاً...كلمات ما أنزلها الله على موسى...سيخبرك أنك ميت في ثلاث ليالٍ...سيخبرك بفناء أجلك...سيقول لك...إن حليتك و صفتك في التوراة يا عمر...و التوراة تقول أنك ميت بعد ثلاث ليالٍ...و التوراة لا تكذب يا عمر...و لأنك لم تقرأ التوراة فلن تكذبه...و لأن يقينك بربك كبير فلن تأخذ الحيطة...لن تعر انتباهاً لكلمات كعب الأحبار...لن تدرك أن وراءها غدر كبير.

(٢)

المؤامرة الرباعية.

مجوسي محترق قلبه بالنار التي يعبدها...ملك منافق يُظهر الإسلام و يُضمر الكفر و العداء لمن سلبوا منه ملكه...حبر يهودي يدّعي إسلامه و قد أدخل

أغلب الإسرائيليات على تاريخ المسلمين...و معهم جفينة النصراني مولى سعد بن أبي وقاص...رؤوس الفتنة الأربعة...رؤوس الغدر و الزندقة...يلتقون في دار الهرمزان يدبرون المكيدة العظمى...عندما تتوحد قوى الشر لأجل هدف واحد...كل منهم يحمل همه الخاص...كل منهم قد تغلغلت في روحه قيود عمر...أدرك الهرمزان حقيقة قول عمر... عندما قال له إنما انتصرتم علينا بتفرقنا و تشرذمنا...و لن يتفرق جمع المسلمين إلا بقتل عمر...تفرق و تشرذم من بعد عمر إلى يوم القيامة...

و من فيهم أكثر حقداً على عمر مثل فيروز...لذا فقد أوكلوا إليه وظيفة الغدر بعمر...خنجر ذو رأسين مدببتين لا ينجُ من يُطعن به...الطعنة منه نافذة مميتة...بينما هم يتبادلونه فيما بينهم في ليلة الحادثة...بينما الشياطين الأربعة مجتمعون...مر بهم عبد الرحمن بن أبي بكر...أبصرهم يتحدثون بمكر...يتهامسون بمكر...التقيت أعينهم بعيني عبد الرحمن...كأن صاعقة نزلت عليهم من السماء...تسمروا أماكنهم و انقطع حبل تهامسهم...دب الرعب في أرواحهم...رجفت أجسادهم ...فسقط الخنجر من أيديهم...تحولت نظرة عبد الرحمن للخنجر فتفحصه...أداة جريمة مميزة لا تنكرها الأعين...تلك الصورة طُبعت في عقله بعد أن غادرهم...لم يدرك ابن الصديق ما سيفعله ذلك الخنجر بأمة الإسلام أجمعين...لو أدرك مكيدتهم لاستأصل شأفتهم...لكن الله أراد الشهادة لعمر و الفتنة للمسلمين من بعده...

(٣)

أبو لؤلؤة يطعن عمراً.

مشهد الغدر بك يا أمير المؤمنين أدمى قلبي...مزّق أعماقي...فتق روحي فصارت كالخرقة البالية...تحطم الباب يا أمة محمد...لو فُتح الباب دون تكسيره

لكان غلقه عليكم هين...لكن الباب الذي درأ عنكم الفتن قد تهشم لجزيئات حملتها الرياح لغير رجعة...فاندفع من وراءه طوفان البلايا...تناحر و شقاق و فرقة...أمة بأسرها غرقت من بعدك يا عمر...و من للإمة الغرقى إن كنا الغريقين....

ها هو المشهد يتمثل أمام عيني....

في صلاة الفجر تقدم عمر لإمامة الناس...مر بين الصفوف و قال استووا يا مسلمون...عندما كان المسلمون مستوون بقلوبهم و أرواحهم...لم يعلموا أنه الاستواء الأخير...بعد أن تراصوا و اعتدلوا و تلاقت أقدامهم و أعضادهم كبّر أمير المؤمنين للركعة الأولى...تلا الفاتحة و سورة يوسف بصوت جهوري عذب...ملائكة السماء تغشاهم و تُنزل الطمأنينة عليهم...ألا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون...الأجساد فوق الأرض و القلوب في السماء...خلعوا عنهم رداء الدنيا و اكتسوا حلة الإخلاص...بعد أن ختم الفاروق تلاوته همّ بالركوع...و فجأة...تبدل كل شيء...مثلما حدث يوم بئر معونة...الملائكة تغادر و الشياطين تتوافد و السماء تتلبد بها الغيوم...من خلف الصفوف هناك ثعبان قادم...يزحف بخنجره المسموم...علم أنه في تلك اللحظة لن يشعر به كل هؤلاء الخاشعين...دنا من الصف الأول...وثب ناحية أمير المؤمنين...طعنه في كتفه...و عمر لا يقطع صلاته...طعنه في خاصرته...و عمر منهمكٌ في صلاته...طعنه في ظهره...يعلم الله كم طعنة تحملها أمير المؤمنين...و كان أمر الله قدراً مقدوراً...فقد الجميع صوت عمر...لقد أمسك عمر بيد عبد الرحمن بن عوف و قدمه للصلاة...أدرك المصلون بأنه قد حدث خطب عظيم...أكمل عبد الرحمن بن عوف الصلاة بالناس...ثلاثة عشر صحابياً تسيل منهم الدماء...ألم و خشوع و بكاء...لقد طعن المجوسي كل من مر عليه في الصفوف عندما أراد الفرار...لكن أحدهم قد

طرح عليه برنساً و أمسك به......و فرغ المسلمون من صلاتهم مندفعين صوب عمر...

قال عمر.. يا ابن عباس انظر من قتلني...يجول عبد الله بن عباس في المسجد...وجد القاتل تحت الغطاء جثة هامدة...غادرته روحه العفنة ...يقلبه المسلمون على ظهره...فيجدونه و قد قطع شرايين عنقه...نحر أبو لؤلؤة نفسه...عندما عجز عن تحرير نفسه...حرر روحه القذرة من جسده المشئوم...قتل نفسه بعد أن طعن ثلاثة عشر صحابياً مات منهم سبعة...بعد أن غدر بأمير المؤمنين...الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ، هكذا قال عمر...حملوه لداره رضي الله عنه مسرعين علهم يحفظون آخر فتيلة متينة في حبل دولة الإسلام.

(٤)

سكرات الموت و آخر لحظات عمر.

(اسكن أُحد فإن عليك نبياً و صديقاً و شهيدان)

بالدار جمعٌ من الصحابة عند أمير المؤمنين...يقطرون حزناً...اغرورقت أعينهم بالدموع... يدفعون الدموع تحت الجفون...لكنها لم تتحمل... ففاض الدمع كالأنهار...ينظرون إليه نظرات الأسى و الحسرة...يصم أذنك الأنين و النحيب خلف بيت عمر...يثرب كلها خرجت تحوط الدار....يثرب كلها تجهش بالبكاء على عمر.

أسرعوا إليه بالماء فلم يبتلعه و خرج من جوفه...أسرعوا إليه باللبن فتدلى اللبن من شدقه...رجل قد وضع قدمه على أعتاب الجنان ما الذي سيطلبه من الدنيا...رجل تتوق روحه للقاء صاحبيه...عمر الآن يريد أن يبلغهم وصيته الأخيرة....

يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين...إن كفاه مال آل عمر فأدّه عني...إن لم يكف فسل بني عدي...إن لم تفِ أموالهم فسل قريش...و أدّ عني ديني.......لله درّك يا عمر...فتحت المشرق و المغرب...و أنت غارم...غنمت كنوز كسرى و هرقل و المقوقس...و أنت غارم... فاضت خزائن بيت المال فصرفتها على المسلمين و أنت غارم......

يا عبد الله فلتنطلق لعائشة أم المؤمنين...قل لها...إن عمر يقرئك السلام...قل عمر و لا تقل أمير المؤمنين...فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً...قل لها يستأذن عمر أن يبقى مع صاحبيه...فإن رضيت...عندما أقضي نحبي فسلموا عليها...إن أذنت لي فأدخلوني و إن ردتني فردوني لمقابر المسلمين....فأتى عبد الله السيدة عائشة رضي الله عنها فوجدها تبكي ، فسلم عليها و أبلغها مطلب عمر فأذنت له....ثم عاد لأبيه و بشره...فحمد الله أن جعل منزلته بجوار رسول الله و أبي بكر....

أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين...أسلمت حين كفر الناس...جاهدت مع رسول الله حين خذله الناس...قُبض رسول الله و هو عنك راضٍ...لم يختلف في خلافتك اثنان...و قتلت شهيداً......

حكمت فعدلت يا عمر...رفعت راية الإسلام يا عمر...درئت عنا الفتن يا عمر...تداعت علينا الأمم من بعدك يا عمر...أصبحنا كالعهن المنفوش من بعدك يا عمر...أخبر صاحبيك أن قلوبنا تشتاق إليكم يا عمر.

(٥)

عبيد الله بن عمر يثأر لأبيه.

مررت بالهرمزان و فيروز و جفينة يتهامسون ليلة أمس ، فلما أبصروني ثاروا و سقط من أيديهم خنجر ذو رأسين نصله في منتصفه ، فانظروا بماذا

قُتل عمر....هكذا قال عبد الرحمن بن أبي بكر تلك الكلمات في حضرة أبناء عمر بن الخطاب....

لا أتخيل وقع تلك الكلمات على مسمع عبيد الله بن عمر...عبد الله كان أكثر حكمة...لكن عبيد كان سيفه أبلغ حكمة عنده من لبّه...إنه الغضب و الحمية...الغضب ضرب من الجنون...يفقد الإنسان فيه عقله...بل يفقد الإنسان فيه آدميته و طبيعته...عندما يغشاك الغضب فلن تر في الأفق إلا الانتقام...لذلك تقلد عبيد الله سلاحه...اشتمل سيفه بين يديه...تدفعه بداخله أمواج دامية و يدفعها...عقله يكتظ بالدماء...عينه لا ترى إلا الدماء......

أتى الهرمزان...لم يُنظره وهلة يدفع عن نفسه تلك التهمة...صوت الهرمزان لم يكد يتجاوز حنجرته...باغته عبيد بطعنة غائرة مميتة....ثم أتى جفينة مولى سعد بن أبي وقاص...هوى بالسيف على رأسه فصلّب بين عينيه...و تخضب وجهه بالدماء...لكن عبيد الله ما زال نهماً للمزيد...فانطلق لدار أبي لؤلؤة و قتل ابنته...كانت جارية تدعي الإسلام...لكن صنيع أبيها أودى بحياتها......

هكذا قتل عبيد الله الهرمزان و جفينة و لم ينج من رؤوس الفتنة سوى كعب الأحبار...ثم أقبل بالسيف في طرقات يثرب...أخذ يقول و الله لا أترك في المدينة شيئاً إلا قتلته... نار الغضب لم تطفئها كل تلك الدماء...إنما الفقيد كان عمر...نحن في زمننا هذا تثور قلوبنا على قاتلي عمر...فكيف يكن حال من نشأ في دار عمر...فكيف يكن حال عبيد الله بن عمر....ما زال يُلوّح بسيفه و الناس يهابون أن يقربوه...حتى أتى عمرو بن العاص....

أعطني السيف يا ابن أخي...فلتهدأ روحك يا ابن أمير المؤمنين...و تقدم عمرو بن العاص نحوه بتؤدة و نزع السيف من يده....و كان ذلك قبل أن يختار المسلمون خليفة عمر...

كان ذلك خطب عظيم ، في دولة تقيم العدل ، لا تستقيم بقتل الأنفس دون تمحيص ، أبو لؤلؤة قد نحر نفسه قبل أن يرغمه المسلمون على إخراج ما تبطنه تلك المؤامرة ، لذا لم يكن هناك ما يكفي لإلصاق مقتل عمر بالهرمزان و جفينة ، و ابنة أبي لؤلؤة قد يكن لا دخل لها بهول ما اقترفت يدا أبيها ، لذلك جمع عثمان الصحابة ، فأشار بعض الصحابة بقتل عبيد الله (و منهم علي بن أبي طالب) و أشار البعض بدفع الدية (و منهم عمرو بن العاص) ، و كان قول عثمان أن لا يتبعوا بعمر ابنه و هو شهيد أمس ، ألا يعصفوا ببيت عمر ، و دُفعت الدية لذوي من قتلهم عبيد الله بن عمر.

مقدمة عن عثمان بن عفان و الفتنة العاصفة.

عثمان بن عفان:

ذو النورين ، ولد بعد عام الفيل بست سنين ، كان رضي الله عنه شديد الحياء ، عذب الكلمات ، لم يسجد لصنم قط في الجاهلية ، لم يشرب خمراً ، كان شديد الوقار و الحكمة ، كان من السابقين الأولين الذين أسلموا ، حيث أسلم على يد أبي بكر و كان رابع من أسلم من الرجال و هو في عمر الرابعة و الثلاثين ، فلم يتلعثم و يتباطأ عن إجابة دعوة الإسلام ، كان ليناً رقيقاً حيياً هادئ السريرة حسن المعشر شديد الأدب ذو بصيرة و يقظة ، تزوج ببنتي رسول الله رقية و ام كلثوم ، كان أول من هاجر إلى الحبشة من المسلمين ، بل أول من هاجر إلى ربه بعد لوط عليه السلام بقول رسول الله ، اشترى بئر رومة و جعلها سقيا بغير ثمن للمسلمين ، تخلف عن غزوة بدر لمرض رقية رضي الله عنها ، جهز رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة تبوك من حر ماله ، كان من أكثر المسلمين تصدقاً و إنفاقاً في سبيل الله ، بشره رسول الله بالجنة و أثنى عليه مراراً ، أنبأه الرسول بالفتنة في عهده و بشره بالشهادة ، لم يكن صلى الله عليه و سلم ليستحي من أبي بكر و عمر لكنه كان يستحي من عثمان و يقول: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!.

تولى خلافة المسلمين ٢٣ هجرياً و حتى ٣٥ هجرياً ، لم يكن بشدة عمر ، لم تحدث الكثير من الفتوحات في عهده ، أهم إنجازاته رضي الله عنه تمثلت في إنشاء أول أسطول إسلامي بحري ، فتح قبرص ، فتح بلاد النوبة (السودان) ، هزيمة الروم في معركة ذات الصواري ، جمع القرآن و نسخه في كتاب واحد ، توسعة المسجد الحرام ، إنشاء أول دار للقضاء ، و في عام ٣٥ هجرياً لقي ربه شهيداً.

عبد الله بن سبأ(ابن السوداء):

العديد من علماء الدين شككوا في حقيقة تلك الشخصية المثيرة ، أين ولد ، أين مات ، هل كان يهودي أم مسلم منافق أم كافر ، ذهب البعض أنه شخصية خرافية لا وجود لها ، و البعض الآخر رأى أنه ظهر في عهد عثمان و أشعل نار الفتنة التي فرقت جمع المسلمين ، و يميل عقلي إلى أحد احتمالين ، أتبنى رأي الفئة التي أقرت بوجوده و حملته إذكاء نار الفتنة بدسائسه ، و إلا فأعتقد أنه كان شيطاناً تجسد للناس في هيئة بشر.

يهودي حاقد يظهر إسلامه أنشأ شبكة سرية تدس الفتن و تؤلب الصدور على عثمان بن عفان ، ولد باليمن و تنقل في البلاد و الأمصار ينفث سمومه في عقول البلهاء و السذج و الغلاة ، غرس بذور الفتنة في الكوفة و البصرة و حمص و الشام ثم استقر به الحال في مصر ، حيث وجد لدعوته الخبيثة صدى واسع في قلوب حديثي الإسلام ، و أخذ يراسل أتباعه في الأمصار الأخرى بسرية شديد طيلة آخر خمس سنوات من عهد عثمان أخذ خلالها يستقطب ذوي النفوس الضعيفة و يذيع الأكاذيب و يعمق جذور الخلاف و الشقاق و يحيك الفتن ، حتى أطل برأس الفتنة على المسلمين و بلغ هدفه المنشود باستهداف عثمان بن عفان.

(١٥) عبد الله بن سبأ

قتلة عثمان

(٦٥٦م/٣٥هجرياً)

(١)

عبد الله بن سبأ

خرج من اليمن و عشش في مصر ، سامريٌ جديد صنع عجلاً من أكاذيبه و مبادئه الفاسدة فسجد لعجله ذوي الأفئدة الغضّة ، كان يبغي النيل من وحدة المسلمين و غرس بذور الشقاق بينهم ، كان يقول أن محمداً أحق بالرجوع من عيسى فالقرآن يقول: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، و يقول أن لكل نبي وصي و علي بن أبي طالب هو وصي رسول الله و الأحق بالخلافة و أن عثمان وثب على خاتم الأوصياء و أخذ إمارة المسلمين بغير حق و تولى أمر الناس عنوة ، أن عثمان تخلف عن بدر و هرب يوم أحد ، فراجت أفكاره لدى السفهاء و من فقدوا ألبابهم و بدأ يسلك الطرق الملتوية و يجند لأفكاره أتباع حمقى في كل الولايات.

عقد العزم لأن يبدأ بأهل الشام ، كان معاوية بن أبي سفيان والياً عليها ، كان رضي الله عنه لا يدع للفتنة باباً تتسلل منه لقلوب أهل الشام ، فلم يجد ابن سبأ شقاً يبخ منه سمومه و عاد خائباً ، ثم توجه للبصرة و كان واليها هو عبد الرحمن بن عامر ، فنزل عند لص مخرب يدعى (حكيم بن جبلة) أفضى إليه بأفكاره مستغلاً زعارته و لؤمه و حقده فاستقبلها بصدر رحب و صار رجل ابن سبأ في البصرة ، ثم توجه بعد ذلك للكوفة و كانت تحت ولاية سعيد بن العاص... ضلع المثلث الثالث بعد مصر و البصرة... فلقي فيها الموتورين و

الحاقدين و البلهاء و أدخلهم بوتقة مؤامرته الخبيثة ، ثم عاد لمصر و مكث فيها و جعل منها مركزاً سرياً للمخطط الشيطاني ، و أخذ يستميل كل من في قلبه غضاضة من الإسلام و ولاته و يراسل أتباعه المرتزقة الذين خلّفهم وراءه في الكوفة و البصرة فأنشأ حزباً يطلق عليهم (السبئيون) ، كان كلهم يتحينون ساعة الصفر التي يتحرك فيه ابن السوداء و أذنابه للنيل من عثمان.

(٢)

بوادر الفتنة بالكوفة.

عام ٣٣ هجرياً في مجلس سعيد بن العاص في الكوفة بدأت بذور الفتنة تنبت و تزهر ، بينما كان سعيد بن العاص في مناقشة مع رجل في مجلسه يدعى (خنيس الأسدي) ، اختلفا على أمر ، سبعة من مرتزقة ابن السوداء كانوا بالمجلس يسيل لعابهم على فرصة يُحدثوا من خلالها فوضى ، كان منهم (الأشتر النخعي ، جندب الأزدي ، صعصعة بن صوحان) ، لما رأوا خنيس يجهر بالقول للوالي سعيد بن العاص تحرك الثعبان القابع في صدورهم ، قاموا على الرجل و أبيه يوسعوهم ضرباً حتى أُغمي عليهما ، جاء بنو أسد للأخذ بثأر خنيس و أبيه ، كادت الحرب تنشب بينهم ، لكن أفاء الله على سعيد بالحكمة فأصلح الأمر.

لقد قصدوا أن تخرج الفتنة بجسدها للمسلمين بعد أن كانت تطل برأسها ، و يعلموا الناس أن الأمر يخرج من سيطرة عثمان و ولاته ، لم يكفوا بعد ذلك عن نشر الأكاذيب و الطعن في عثمان و سعيد بن العاص ، و لما ضاق عثمان بهم ذرعاً أخرجهم من الكوفة و سيرهم لمعاوية بن أبي سفيان بالشام لدهائه و سياسته و فصاحته و أوصاه بتأديبهم و تقويمهم ، فبدأ بإكرامهم و مخالطتهم

و أزال الكلفة و الوحشة بينه و بينهم ، و علم أن النعرة القبلية تحركهم بعد أن حاجهم و جادلهم و رد كيدهم و أفحمهم بقوة حجته و لباقته....

أخزى الله أقواماً أقاموا لكم وزناً و رفعوا أمر أمثالكم للخليفة...إن الشيطان عنكم غير غافل...قد عرفكم بالشر من بين أمتكم...فأغرى بكم الناس...و هو صارعكم و صرعكم...و لن يستطيع أن يرد بكم قضاء الله...و لن يرد أمراً أراده الله...أفٍ لكم...أبرزكم الإسلام و خلطكم بالناس...حملكم الإسلام على الأمم التي كانت عليكم...ثم أقبلتم تبغون دين الله عوجاً...ردوا علي خيراً...انظروا فيم ينفعكم و ينفع أهليكم و عشائركم و أمة المسلمين...وقروا أئمتكم...و عظوهم بلين و لطف و لا تعثوا في الأرض فساداً...إن لله سطوات و نقمات...إني لخائف أن تتمادوا في مطاوعة الشيطان و معصية الرحمن فيبدلكم الله دار الهوان.

ذلك بعض مما قاله معاوية لهم ، فما كان منهم إلا أن خاطبوه بحماقة و قلة عقول ، و حركتهم النعرة القبلية فاستنكروا عليه أن يخوفهم بأولي الأمر و هم قد خرجوا من قريش ، فما كانت قريش أعز منهم و لا أمنع ، و أخذوا يقولوا له أنك يا معاوية لست أهلاً بأن تعظنا و تحذرنا و لا كرامة لك أن تطاع ، ثم لما رأوا أنه ظاهر عليهم و دحض حجتهم بلسانه الحاد ، وثبوا عليه و أخذوا بلحيته و رأسه... كأفعال الرعاع و الغوغاء و ضعاف الأحلام... لا تنفعهم الكلمات... فالسيوف لدى هؤلاء أبلغ حكمة ، و لما استيئس منهم أخرجهم من الشام و سيرهم عثمان لابن سيف الله المسلول(عبد الرحمن بن خالد) والي حمص ، و هناك وجدوا اللغة التي تليق بهم.

(٣)

خطاب عبد الرحمن بن خالد و الفتنة بالبصرة .

قد أسقاك أباك عزة الإسلام يا عبد الرحمن...تمكن ابن سيف الله من كبح جماحهم و إخضاع نفوسهم و تحطيم أصنام الفتنة بأفئدتهم ، و إن كانوا تظاهروا بذلك حتى يجدون مخرجاً من قبضة عبد الرحمن بن خالد...لكنه رأب صدعهم بحزم و صرامة أثناء مكوثهم بحمص.....

يا آلة الشيطان...لا مرحباً بكم و لا أهلاً...لقد رجع الشيطان محسوراً خائباً و أنتم ما زلتم نشيطين في الباطل...خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم و يخزكم...يا معشر من لا أدري من أنتم ، أعربٌ أم عجم...لن تقولوا لي كما كنتم تقولون لسعيد و معاوية...أنا ابن خالد بن الوليد...أنا ابن من قد عجمته العاجمات...أنا ابن فاقئ الردّة...و الله لأذلّنّكم...يا صعصة بن صوحان...يا ابن الخطيئة...من لم يصلحه الخير أصلحه الشر...من لم يصلحه اللين أصلحته الشدة...لماذا لا تردون علي كما كنتم تردون على سعيد و معاوية؟...لماذا لا تخاطبوني كما كنتم تخاطبونهما؟...

ذلك الأسلوب القاسي و الحازم نفع معهم و أخرسهم و ضعضعهم ، فكان ابن خالد لا يدعهم و شأنهم ، إذا مشى مشوا معه و إذا غزا غزوا معه ، و أكثر من إذلالهم و ترويضهم ، فأظهروا توبتهم و ندمهم ، فعفا عنهم عثمان ، و رضوا بأن يقيموا لدى عبد الرحمن خالد إلى حين إشارة ابن السوداء.

في البصرة لم يدخر حكيم بن جبلة و أذنابه جهداً في إثارة الناس و رمي الصالحين بالباطل ، فقد افترى هؤلاء الخوارج على رجل مدحه رسول الله و أحد أبطال القادسية و هو عامر بن عبد القيس ، فقذفه هؤلاء ظلماً و زوراً و عدواناً ، فأخرجه عثمان من البصرة و بعثه إلى معاوية الذي أظهر براءته ، و كأن هؤلاء الرعاع أرادوا إخراج الصالحين ليستبيحوا الأرض و يفسدوا العباد مستغلين لين عثمان و رحمته بهم.

(٤)

عبد الله بن سبأ يبدأ التحرك .

الآن الخطة محكمة ، و بكل أرض يحكمها عثمان هناك ثعابين و ثعالب ، و عبد الله بن سبأ قد تغلغلت جذوره في عمق الدولة الإسلامية ، في مصر هناك يرقد و قد وجد بها التربة الخصبة لإذاعة أكاذيبه ، و يحرك من وكره قطع الشطرنج التي تركها بالكوفة و البصرة و حمص و الشام و المدينة ، جاء الأمر لكلابه بالكوفة كي يبدئوا النباح ، و في الوقت التي خلت فيه الكوفة من أشرافها وقت الجهاد ، جمع زعيم الرعاع بها (يزيد بن قيس) السبئيين بالمسجد و بدأ التصعيد الأول بمحاولة خلع عثمان و واليه سعيد بن العاص ، فقد كاتبوا من نفاهم عثمان إلى حمص عند عبد الرحمن بن خالد ، و أخبروهم أنه قد حان وقت الخروج ، فسرى الأشتر النخعي و أصحابه من حمص إلى الكوفة بقطع من الليل خفية و مخافة أن يمسك بهم عبد الرحمن بن خالد.

في المسجد تجمعوا و ألهب الأشتر النخعي نفوس الناس ، عندما قال لهم إن سعيد بن العاص عند عثمان يريد أن ينقص عطائكم و يخفض أموالكم و يحط قدركم...فانطلقوا معي نعترض طريقه...لن يدخل سعيد الكوفة ثانية ، فهاج الغوغاء و فاقدي البصيرة مع الخوارج...قطعوا طريق المدينة أمام سعيد...قالوا له عد من حيث أتيت...لا حاجة لنا بك...أخبر عثمان أن أهل الكوفة لا يريدونك والياً عليهم...أخبره أن يعين علينا أبا موسي الأشعري ، فرأى سعيد ألا يؤجج الفتنة...رأى ألا يتناحر معهم...عاد لعثمان و أخبره...فقال عثمان...لا ندع لأحد عذراً في الفتنة...لن نترك لأحد حجة علينا أمام الله...و لنصبرن عليهم حتى نعرف حقيقة ما يريدون...و إني وليت عليهم أبا موسى الأشعري كما يبغون.

يا عثمان...يا ذا النورين...يا من تستحي منك ملائكة السماء...أردت دوماً أن ترأب صدع الفتنة باللين و الرفق...قد عاهدت رسول الله ألا تحرك رحى الفتنة ما حييت...قد قال لك أصحابك كثيراً...هؤلاء الحمقى يجمعهم مزمار و تفرقهم عصا...ولا تُسكّن الغوغاء إلا السيوف...أرادوا أن تطفأ الفتنة بالدماء...و أراد قلبك النقي أن يطفأها بالماء...أردت أن تبحر بزورقك الوديع...تغالب العواصف و الرياح العاتية...أي قلب هذا حويته يا عثمان...إن كان للملائكة قلوباً مثلنا فلتنافسن صفاء قلبك.

تقدم رهيب حدث لدعاة الفتنة...أن يجعلوا الخليفة يولي عليهم ما يريدون...أن تبدأ بخلع الوالي...فحتماً ستصل لخلع الخليفة...إن ذلك الأمر كان الإنذار الأول للكارثة الكبرى...و أصبحت الفتنة تموج بها الأمصار...و تستشري في كل صقع...لدغ العقرب لدغته الأولى و أتبعها بلدغات أخرى...و الآن حان وقت اللدغة القاتلة.

(٥)

مقتل عثمان بن عفان.

عدلت في القضية...قسمت بالسوية...رعيت حق الله و حق الرعية...إن رحى الفتنة دائرة...فطوبي لعثمان إن مات و لم يحركها...قال لك عمرو بن العاص...أرى يا أمير المؤمنين أن تلزم طريقة عمر...تلين في موضع اللين و تشد في موضع الشدة...و إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً...و أنت قد فرشت لهم الأرض ليناً و رحمة...قلت سأكفكف منبعها بالرفق و المغفرة...قلت سأجود بروحي إذا عزم الأمر كي لا أدير رحاها...قال لك معاوية:...انطلق معي يا أمير المؤمنين إلى الشام...يبدو أن ما سيأتيك لا قبل لك به...قلت له: أنا لا أبيع جوار رسول الله...لا أبيعه و لو كان فيه قطع خيط عنقي...قال لك:

أبعث لك جيشاً من الشام يدرأ عنك الأخطار المتوقعة...قلت له: لن أُقتّر الأرزاق على جيران رسول الله بجند تساكنهم و لا أُضيّق على أهل الهجرة و النصرة...قال لك معاوية: و الله لتُغتالنّ أو لتُغزينّ يا عثمان...فقلت له: حسبي الله و نعم الوكيل...هم لم يعلموا سرك...لم يسمعوا لحديثك مع رسول الله...يتعجبون من تلك المصابرة العظيمة و الحلم المستمر أمام أعداء الدين...لكن رسول الله قد قال لك: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني...و يشهد المسلمون ، و تشهد الأرض ، و تشهد السماء أنك ما نزعت عنك رداء الله...ما بخلت بمالك في سبيل الله...و الآن تمنح روحك أيضاً في سبيله.

الشياطين قادمون...من كل حدب ينسلون...يسوقهم ابن سبأ أمامه كالقطيع ...من مصر و البصرة و الكوفة...الرعاع و المرتزقة و البلهاء...خرجوا من كل ولاية أربع فرق...على كل فرقة أمير...و على الأمراء الأربعة أمير...الغافقي بن حرب على خوارج مصر ، عمرو بن الأصم على متمردي الكوفة ، حرقوص بن زهير على موتوري البصرة ، و مع كل جمع خرج من غرس بذور الفتنة بالأمصار ، من مصر خرج معهم ابن السوداء ، من الكوفة خرج معهم الأشتر النخعي ، من البصرة خرج معهم حكيم بن جبلة ، كلهم ذائبون بين الحجيج ، زعموا أنهم ضيوف الرحمن قادمون لحج بيت الله ، حتى إذا دخلوا المدينة تركوا ضيوف الرحمن يذهبون لمكة...و بقي ضيوف الشيطان بالمدينة بعد أن غادر أغلب قاطنيها لحج بيت الله...حيث فرغت المدينة من أخيارها...و تنقلت الشياطين في أرجاءها...و أصبح لا يحوط عثمان إلا قليل من الصحابة...سنحت أمامهم فرصة النيل من خليفة المسلمين.

عندما حلّو على المدينة أول مرة علم بقدومهم عثمان و ذهب إليهم و عقد معهم جلسة مصارحة و مكاشفة ، جادلهم و أثبت للناس كذب ادعاءهم و حسن سريرته.

قالوا لقد أتممت صلاتك في السفر مخالفاً رسول الله ، قال أنا مكي و كنت منتقلاً من المدينة لمكة و هي أرضي فكيف تحسبون ذلك سفراً. قالوا لقد حرقت كل نسخ القرآن و أبقيت معك نسخة واحدة ، فقال لهم: القرآن كلام الله من عند الله و هو واحد ، و لم أفعل سوى أن جمعته و جمعت المسلمين على مصحف واحد.

قالوا لقد وليت الشباب و صغار السن و لم تول من شابت لحاهم في الإسلام ، قال لهم: لم أول إلا فاضلاً مرضياً محتملاً ، و سلوا الناس عن عملهم و حكمهم فيهم ، و لقد ولى رسول الله أسامة بن زيد و هو أصغر ممن وليتهم.

قالوا إنك تحب أهل بيتك و تعطيهم دون المسلمين ، قال لهم: حبي لأهل بيتي لم يحملني على أن أميل أو أجور أو أظلم الآخرين ، بل أحمل الحقوق عليهم و آخذ الحق منهم ، و أعطيهم من مالي الخاص و ليس مال المسلمين ، فلم يستحل عثمان أموالكم.

قالوا له الكثير و أفرغوا ما بجعبتهم فجعل الحجة عليهم ، و أشهد عليهم الصحابة و المسلمين ، و تبرأ منهم ، و فضحهم في الدنيا و الآخرة بعدما بين أنهم مغرضون لا يريدون إرشاداً و لا يبغون سداداً ، و أنهم يتربصون به الدوائر و يتسقطون هفواته لينفذوا فتنتهم.

بعد ذلك هم الآن لن يسلكوا الطرق الملتوية ، سيعلنون هدفهم الذي لطالما حلموا بتحقيقه ، جماعة مصر قالوا نريد علي بن أبي طالب خليفة ، جماعة الكوفة قالوا نريد الزبير خليفة ، جماعة البصرة قالوا نريد طلحة بن عبيد الله

خليفة ، ذلك ليموهوا الناس و يوقعوا بين الصحابة ، و زوروا كتاباً لعثمان يوصي فيه بقتلهم و صلبهم ، حتى يذكّوا نار الفتنة التي كادت تطفئها حجة عثمان ، جاءوا المدينة يحملون الغدر و النقمة ، و حاصروا بيت أمير المؤمنين.

حصار شديد فرضه الرعاع على عثمان...احتلال مسلح لمدينة رسول الله...عشرة آلاف متمرد و فاسق... لم يستطع عثمان أن يؤدي الفريضة بالمسجد...يُدخلون لداره من يشاءون...و يمنعون عنه من يشاءون...إما أن تخلع نفسك...أو تُزهق نفسك...إما أن تهبط روحك من على عرش المسلمين...أو تصعد روحك لرب العالمين... يريدون قتلك يا عثمان...و هل صار دمك حلالاً لأياد قذرة؟...هل كفرت بعد إيمانك؟...هل زنيت بعد إحصانك؟...هل قتلت نفساً بغير نفس؟...حاش لله أن تفعل...هؤلاء يريدون قتلك لأن الشيطان يريد...لأن كل من سحقهم الإسلام يريدون ذلك...كي لا يجاهد المسلمين عدواً من بعدك...كي يسفك المسلمون دماء بعضهم من بعدك...

جاء له علي و الزبير و أبي هريرة و عبد الله بن عمر...مُرنا يا أمير المؤمنين نقاتلهم...مرنا نفنيهم عن آخرهم...صحابي من بعد صحابي يدلفون إليه...هؤلاء كغثاء السيل...مرنا نشتتهم و نذروهم كالرياح...مرنا نغرقهم في دماءهم...لكنه رضى الله عنه أبى أن تقطر نقطة دم من شخص يدّعي أنه مسلم....جاءته أم حبيبة تحمل على بغلتها الماء بعدما منعه الخوارج عنه...ضربوا بغلتها بالسيوف...حتى كادت تسقط من عليها...هكذا فعلوا بأم المؤمنين...أفعال من لا أصل له و لا وزن...أفعال أبناء الخطيئة...أفعال سفلة سفهة حمقى....يجلس ظمآناً في داره...و قد سقى المسلمين يوم عطشهم...و رواهم يوم ظمأهم...

أقسم عثمان على أهل المدينة بالرجوع عن داره...دعوني لأمر الله...فرجعوا إلا القليل من الصحابة...نام ليلة الحادثة و حلم برسول الله يدعوه أن يفطر عنده...فأصبح صائماً...و قتل صائماً...

هاجم المتمردون الدار...تصدى لهم جمع من الصحابة و قاتلوهم...فصاح فيهم عثمان...أنتم في حل عن نصرتي...كل من رأى أنه عليه السمع و الطاعة لي و أنا أميركم فليكف يده...أناشدكم الله دعوني و غادروا الدار...ذروني للشياطين و اخرجوا...

خرج الصحابة...خلوا بينه و بين الرعاع...لم يبق في الدار غيره و أهله...لا مدافع و لا حام و لا ناصر إلا الله...أخذ المصحف بين يديه...رتل القرآن...آنسته كلمات كتاب الله...غبطت روحه...دخلوا عليه...دخلوا و ما من مثقال ذرة في أرواحهم إلا و تصرخ بالغل...أحدهم يخنقه...و الآخر يطعنه...و الآخر يهوي بالسيف على يده فيقطعها...يقطعون يداً كتبت الوحي...يقطعون يداً جادت بكل ما تملك في سبيل الله...لم يقاوم...لم يتحرك...يتساقط دمه على المصحف و يُضمّخ آية (فسيكفيكهم الله)...على الأرض دم حبيب رسول الله...على الأرض دم يحيى ذلك الزمان...على الأرض دم الحيي النقي الشهيد...على الأرض دم عثمان أيها الغوغاء...أيها الأشقياء...أيها الأنعام...أيها الأصنام...أيها المكظومين...أيها الكلاب اللاهثين...ربح عثمان و خسئتم أجمعين.

مقدمة عن علي بن أبي طالب و الخوارج.

علي بن أبي طالب:

ابن عم رسول الله ، أبو السبطين ، المقاتل الفذ ، القائد الجسور ، الشاعر و الأديب ، الفقيه الحكيم ، ولد رضي الله عنه قبل البعثة بخمسة عشر سنة(٥٩٦م تقريباً) ، أخذه رسول الله من عمه فنشأ و تربى في بيت النبوة ، نهل من معين أخلاق النبي ، و كان أول من أسلم من الصبيان ، عندما أراد رسول الله الهجرة و قد حاصرت قريش داره ، فداه علي بروحه و نام في فراشه ، فشاهت أبصار المشركين و هاجر النبي بعد أن أوصى علي برد الأمانات لأصحابها ، جاهد مع النبي في غزوات شتى و أظهر صلابته و بأسه ، قتل عمرو بن ود يوم الأحزاب بعد نزال عنيف مع صنديد عتي قضى نحبه في الحروب ، أعطاه الرسول الراية يوم خيبر ففتح الله عليه و دك أسوار قلعة اليهود ، قال عنه عمر: عجزت النساء أن تلدن مثل علي ، لولا علي لهلك عمر ، لما له من مواقف شتى أعان فيها عمر للحكم بالعدل بين الناس ، و قد كان أول من أشار على عمر بالتقويم الهجري ، تمت بيعته بالخلافة رضي الله عنه بعد مقتل عثمان ٣٥ هجرياً و ذلك بعد إلحاح شديد من الصحابة عليه ، تولى الخلافة و قد وطد المنافقون و الخوارج أوتاد الشقاق و الفتنة بأرض المسلمين ، و أُضرمت نيران التشرذم في كل صقع مسلم ، و تعجل كثير من الصحابة على الأخذ بثأر عثمان ، و كان رضي الله عنه يرى التأني إلى حين ترسيخ جذور الدولة و استعادة قدرتها و سيطرتها ، فقضى خلافته في نزاعات و صراعات مع الخوارج و مريدي القصاص لعثمان و مع معاوية بن أبي سفيان ، و أريقت دماء المسلمين بأيدي المسلمين ، فكان رضي الله عنه يبذل قصارى جهده لحقن الدماء و تأليف القلوب و توحيد الصفوف ، لكن رياح الفتنة العاتية عصفت بقلوب الكثيرين فلم يتمكن رضي الله عنه من رأب

صدعها و تجريف جذورها ، و في ٤٠ هجرياً تربص به اثنان من الخوارج أثناء خروجه لصلاة الفجر و قتلته الأيدي الفاجرة.

الخوارج:

بعد حصار المدينة بأكثر من عشرة آلاف بغيض من أنصار ابن سبأ ، و بعد أن تسوروا دار عثمان و قتلوه و هو يتلو القرآن ، عادت الغربان إلى حيث أدراجها ، و كانوا من قبائل و مناطق شتى ، ذلك سبباً في رفض علي بن أبي طالب سرعة القصاص منهم فهو كان يدرك أن قبائلهم لن تسلمهم بسهولة للموت ، لكنهم لم يكفوا بعد ذلك عن الإيقاع بين المسلمين و بين الصحابة و انتشروا في الأرض و قويت شوكتهم ، بينما كان الصحابة في شقاق على أمر القصاص كان الخوارج يتكاثرون و يتبرعمون في كل مكان و تسببوا في تناحر المسلمين يوم الجمل و صفين.

أهم النزاعات و الحروب بعهد علي:

١ـ**قتال خوارج البصرة:** خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها و طلحة و الزبير بن العوام بجيش ممن يطلبون القصاص إلى البصرة ، و كان ذلك بدون علم علي رضي الله عنه و أمره ، و لما نزلوا جانب البصرة أرسلوا لأشرافها و أسياد قبائلها يستحثونهم على دعمهم و نصرتهم على قتلة عثمان فانضم لهم عامة أهل البصرة ، و أرسلوا لذوي قتلة عثمان يطلبون منهم تسليم من شارك في حصار المدينة لكنهم أبوا ذلك ، و بينما هم معسكرون أتاهم حكيم بن جبلة مختالاً و معه أنصاره من الغوغاء الذين حاصروا عثمان يسب السيدة عائشة و يستثير المسلمين ، فنشب بينهم قتال عنيف سأقصه عليكم في الفقرة الأولى.

٢ـ**معركة الجمل:** بينما كان علي رضي الله عنه خارجاً إلى الشام لينظر في أمر معاوية ، سمع برحى المعركة التي دارت في البصرة ، و سيطرة طلحة و

الزبير عليها و مبايعة الزبير بالخلافة هناك ، فعدل وجهته للبصرة و ذهب ليسكّن القلوب الثائرة بها ، و انضم له جيش من الكوفة و أرسل القعقاع للسيدة عائشة و الزبير و طلحة ليعلم ما ينوون القدوم عليه ، و عندما جاءهم القعقاع علم منهم أنهم يطلبون حرقوص بن زهير الذي نجا منهم و هرب إلى الكوفة ، لكن القعقاع تمكن من إقناعهم أن يرجئوا ذلك لحين تهدأ الأمور ، فذهب إليهم علي لعقد الصلح و أخذ البيعة ، لكن عيون الفتنة و الناقمين لم تنم ، انسلوا بين الجيشين و أوقعوا بينهم ، و بدلوا بالصلح حرباً ضارية سُفكت فيها دماء آلاف المسلمين ، و سوف أقصها عليكم في الفقرة الثانية.

موقعة صفين:

كان علي رضي الله عنه يرى أن يعزل كل أمراء الولايات عهد عثمان و يولي ولاة جدد ، فولّى على البصرة عثمان بن حنيف ، عمارة بن حسان على الكوفة ، قيس بن سعد على مصر ، سهيل بن حنيف على الشام ، كل الولاة القدامى قد انصاعوا لأمر عليّ عدا معاوية ، اعترض طريق سهيل بن حنيف و منعه من دخول الشام ، و لما علم علي بذلك خرج بجيشه إلى الشام ، و أرسل رسائل عديدة لمعاوية يحثه على الطاعة و حقن الدماء لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً ، فمعاوية ولي دم عثمان و قد عاهد الله ألا يشيم سيفه حتى يقتص من قتلته و كان في نفسه يرى أحقيته بالخلافة ، و لم يثنيه نصح و مبررات علي عن بغيته ، فالتقى الجيشان عند صفين و كان بها نفراً من الخوارج ، و سأقص ذلك عليكم في الفقرة الثالثة.

بعد ذلك حدث التحكيم و انشقت فرقة الخوارج و رفضت الأمر ، و أخذوا يعترضون طريق الناس و يقتلون كل من وافق على التحكيم و يعيثون في الأرض فساداً ، فتصدى لهم علي و فرق جمعهم و قتل دعاتهم ، بعد ذلك

تصالح مع معاوية و أبقاه على الشام ، لكن معاوية لم تسكن رياحه فأرسل عمرو بن العاص إلى مصر و ضمها إليه ، و في عام ٤٠ هجرياً رصد الخوارج ثلاثة منهم ليقتلوا علياً و معاوية و عمرو بن العاص ، فعجزوا عن قتل الأخيرين ، و نجح ابن ملجم في قتل علي كرم الله وجهه .

(١٦) الخوارج

عبد الرحمن بن ملجم

(٣٥-٤٠ هجرياً ، ٦٥٦-٦٦١م)

(١)

مقتل قتلة عثمان بالبصرة.

قائد أوغاد البصرة أتى يرتع و يختال...يسب عائشة و يقتل كل من عافت نفسه عن ذكرها بسوء...ليس مستحدثاً ذلك على هؤلاء الرعاع...يوم حاصروا المدينة و دنسوها و آذوا أم المؤمنين (أم حبيبة)...أغدق عليهم ابن سبأ من إغواءه...عندما جاء قاتل عثمان و عصابته إلى طلحة و الزبير يتراقص بفرسه و يشهر سيفه...سينشب القتال هاهنا...سنسقي سيوفنا بدمائكم كما فعلنا بخليفتكم هاهنا...يا حكيم لولا أننا لا نبغي قتال الأبرياء ما تركنا لسانك يتحدث هاهنا...قد جئت لمصرعك يا حكيم...فلتصمت الألسنة عندما تتحدث أنصال السيوف...

عائشة تناديهم كفوا أيديكم...لا نريد إلا من تلطخت يداه بدماء عثمان...لكن حكيم لا يكف عن تسعير القتال...إذاً أنت أردت ذلك فليكن اقتتال...الحمد لله الذي جعل لنا ثأرنا من أهل البصرة...الحمد لله الذي ساق قتلته إلينا كي نكفكف منبعهم....الدائرة تدور عليهم...أنصار الخوارج بالبصرة يغرقون في دماءهم...الصحابة ظاهرون عليهم...ستمائة رجلاً ممن حاصروا المدينة سقطوا صرعى كأعجاز نخل خاوية...حكيم بن جبلة نال من حق السيوف...عصبي قبلي غبي...جاء يجابه الأشاوس و أنفه في السماء

...فبصق فمه الدم و غار أنفه في التراب...إلى الجحيم يا حكيم...خذ كيدك و جهلك و وقاحة قلبك معك إلى الجحيم....

لم يفلت من قتلة عثمان بالبصرة سوى حرقوص بن زهير ، و بايع أهل البصرة الزبير خليفة لما رأوه قد سحق قتلة عثمان بالبصرة ، كي يواصل السعي حثيثاً طالباً القصاص ، لكنه رضي الله عنه ما أرادها و ما دعا نفسه بها ، و عندما جاء رسول علي إلي الزبير و طلحة و السيدة عائشة ، لم تعرض قلوبهم عن أمر علي و قبلوا أن يبايعوه ، لولا خديعة الخوارج الخائنين.

(٢)

معركة الجمل.

عندما عاد القعقاع لعلي و أخبره بقبولهم البيعة...طار قلبه فرحاً و حبوراً...دماء المسلمين الآن حُفظت و لن تراق...جيش علي يتحرك ناحية البصرة لعقد الصلح...لكن عيون الخائنين ما غفلت لحظة...و في فجر يوم الصلح...ألف رجل من قتلة عثمان زحفوا لخيام جيش الزبير و جيش علي و هم نيام...أعملوا فيهم سيوفهم و باغتوهم في غسق الفجر...ظن الجميع أن حديث الصلح كان خدعة...نهض الجميع إلى أسلحتهم...دون تمعين أو تفنيد في أصل الأمر...التحمت جيوش المسلمين...برز القتال فجأة...يستيقظ علي و الزبير و طلحة و عائشة على أصوات الصليل و التصارخ...لا يدرون ما الذي يجري...علي يتساءل لماذا دم الأخوة من الوريد يجري؟...كنا قد أتينا لعقد السلم و حقن الدماء...لم ندر أننا نتحرك صوب شراك الخوارج...مع كل قطرة دم تسقط كان قلب علي يقطرها ألماً و حسرة...من قهروا الفرس في القادسية...من قهروا الروم في اليرموك...يقهرون بعضهم بعضاً بالبصرة...يرى علي رؤوس المسلمين تتطاير و معاصمهم تُقطع...يحتضن

الحسن و يقول...يا ليت أباك مات منذ عشرين سنة و لم يشهد ذلك...و عمار بن ياسر يقاتل في جيش علي...و الزبير يرتعد أن يقتل جيشه عمار...يخشى أن يصدق قول الرسول فيهم...الفئة الباغية التي تقتل عمار...علي رضي الله عنه يمتطي فرسه و يصيح...إلي يا الزبير...إلي يا طلحة...يا زبير قد قال لك الرسول أني لست بمتمرد و سوف تقاتلني و أنت لي ظالم...فينسحب الزبير و يقصد مكة...فيتبعه عمرو بن جرموز و قد حاك في صدره غدراً و نقمة....

و بينما طلحة رضي الله عنه يذود عن نفسه في ساحة القتال...أتاه سهم طائش فقتله...و لم يتبق من أهل الحل و العقد بجيش البصرة سوى السيدة عائشة...فتصعد رضي الله عنها هودجها على الجمل...تدخل به إلى ساحة القتال...تصيح فيهم أن تهدأ سيوفهم و يطفئوا نار التناحر...لكن صليل السيوف حجب صوتها فلم يسمعونه...و تراءى لسمعهم أنها تحمسهم على القتال...يبدو أن الشيطان أسمعهم ما يحب هو أن يسمعونه...فأحاطوا بهودجها و جملها يقاتلون حوله...اتخذوا منه قاعدة عسكرية...و علي أدرك أن منبع القتال و نقطة احتدامه هناك حول الجمل...قُتل ممن يمسك بخطام الجمل سبعين رجلاً...و هم حول السيدة عائشة يتفانون في القتال حول الجمل...حتى جُرح عبد الله بن الزبير سبعة و ثلاثين جرحاً...و تيقن علي أنه لابد من عقر الجمل لتسكين القتال...رشق الجمل بالرماح من كل جانب حتى صار كالقنفد...و هرع رجال علي إلى حيث الهودج و وضعوه على الأرض و نصبوا فوقه خيمة ليصونوا روح أم المؤمنين و ستر ها...ثم توقف القتال و هدأت القلوب بعدما سقط عشرة آلاف شهيد...و بايع أهل البصرة علي...و أسرع علي إلى خيمة السيدة عائشة يطمئن عليها و معه أخوها محمد بن أبي بكر الذي كان يقاتل في صفه...ثم يختار أربعين امرأة من أشراف البصرة يرافقنها إلى مكة...و يجلد

من أساء لها مائة جلدة...و يداوي جرحى جيش البصرة...و يبكي بكاءاً مراً على طلحة و ابنه...لهفي عليكما...أيها الأتقياء الصالحون.

أتى عمرو بن جرموز لعلي بسيف الزبير...لقد قتل ابن جرموز الزبير غدراً و غيلة و هو يصلي بعد أن ترك الزبير أرض المعركة...هو الآن ينتظر مكافأة من علي...فمنعه علي من الدخول عليه...و رده يتعثر في خزيه...و بشره بالنار مثوى و صلياً لقتله صاحبه...فقتل عمرو بن جرموز نفسه من شدة الألم و الندم على ما اقترفت يداه...و أمسك علي بسيف الزبير و أخذ يبكي و يعلو نحيبه...ما أراد ذلك رضي الله عنه...أن تسفك الدماء و هو مسئول عن أمة المسلمين.

(٣)

موقعة صفين

معاوية رضي الله عنه حشد تحت قميص عثمان أكثر من تسعين ألف مقاتل...معاهدين الله ألا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته...و إن جريمة قتل عثمان بشعة لدرجة أن ينطق الحجر الأصم مطالباً بثأره...لكن غفر الله لمعاوية امتناعه عن بيعة علي و تمرده على الدولة وقت شدائدها...غفر الله له تسببه بحرب أهلية إسلامية لم يشهد الإسلام أتعس منها...غفر الله له إحياءه لكل غرائز الجاهلية التي دفنها الإسلام...غفر الله له ظنه أن علياً سيذر قتلة عثمان يسيحون في الأرض دون عقاب...غفر الله له تحميله لعلي السبب في قتل عثمان...و لقد قال له علي: لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان.

تخلف عن علي رضي الله عنه كل من سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمر و أسامة بن زيد و محمد بن مسلمة...اعتزالاً لتلك الفتنة العاتية ، و تحرك علي

بجيشه إلى صفين شرقي الفرات و كان به نفراً من الخوارج ، وجد جيش معاوية و قد احتل طريق الماء ، و منع الماء عن جيش علي حتى كادوا يموتون من شدة العطش ، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يخلّ بينهم و بين الماء فما كان لهم أن يشربوا و إخوانهم يتضاغون عطشاً ، ففعل معاوية و تشارك الجيشان ماء صفين ، و بعد رسائل عدة لمعاوية تحثه على إطاعة ولي الأمر باءت كلها بالفشل ، نشب القتال المؤسف الذي سطره التاريخ الإسلامي بدماء الإخوة.

مائتي ألف مسلم يقتل بعضهم بعضاً...آلاف من الشهداء...من بزوغ الفجر و حتى غروب الشمس...تأتي بالنور و الدماء و ترحل بالحداد و البكاء...لن تتمكن من رؤية شيء سوى الدماء...على الأرض بحيرات حمراء تنبع من أجساد المسلمين...على أقمشة الخيام دماء...على أوراق الشجر دماء...على الصخور و الحجر دماء...فوق الجبل و تحت السماء...من كل مكان تنبثق الدماء...في كل شبر تتقطع الأشلاء...تكسرت الرماح...نفذت السهام...اعوجّت السيوف كالمناجل...تضاربوا بعمد الحديد...تراموا بالحجارة...تحاثوا بالتراب...أي معركة و أي فتنة!...الخوارج بين الجيشين أبدعوا في سفك الدم...يقاتلون بكيانهم الأسود و أرواحهم التي فاض منها الغل...و عندما سقط عمار بن ياسر شهيداً...قتله جيش معاوية...لاح للجميع حديث رسول الله...ويح عمار تقتله الفئة الباغية...فاستبسل جيش علي لتيقنهم بعد مصرع عمار أنهم على الحق...و اهتز جيش معاوية فقد صدق فيهم قول رسول الله...و أخذ جيش علي يتقدم على جيش معاوية ، و لما رأى معاوية تقهقر جيشه...رفعوا المصاحف على ألسنة الرماح و طالبوا بالتحكيم ، فقبل علي رضي الله عنه رغم أن النصر كاد يكون حليفه.

(٤)

التحكيم و معركة النهروان

بعد معركة مأساوية راح ضحيتها سبعين ألف مسلم ، تراضى كلا الفريقين على التحكيم ، فوكّل علي حكماً له أبا موسي الأشعري ، و وكل معاوية عمرو بن العاص ، و اجتمعا في دومة الجندل ، و اتفق كلا الحكمين على عزل علي عن إمارة المسلمين ، و ترك علي و معاوية على حكم البلاد التي تحت تصرفهما ، و رد أمر الخلافة شورى بين كبار الصحابة يختارون صحابياً مات رسول الله عنه و هو راض ، لكن علي رضي الله عنه لم يقبل بنتيجة التحكيم ، و اعتبرها تجاوزاً عليه و على أصل التحكيم و هو الحكم في أمر قتلة عثمان و ليس في أمر الخلافة ، و جهز جيشاً ليجابه معاوية مرة أخرى ، لكن هذه المرة حدث انقسام رهيب في جيشه ، و انسلخ منه اثني عشر ألفاً من الخوارج...هنا ذهب الزَبَد جُفاءً...هنا غادر الخبث أصل المعدن النفيس...هنا أعلنوا الخوارج عن كينونتهم و عن حقيقتهم.

خرجوا يرفضون التحكيم...لقد حَكّم علي الرجال في أمر الله...لقد قاتل علي و كاد يظفر و لم يسب و لم يغنم...لقد محا نفسه من أمير المؤمنين ليغدو أمير الكافرين...مناطهم الجهل و أفقهم ضيق...و لم يسمعوا لقول عبد الله بن عباس...و لقد أخذ عليهم علي موثقاً ألا يسفكوا دماً و لا يروعوا آمناً و لا يقطعوا سبيلاً...لكن ديدنهم منذ أن غرسوا بذور الفتنة عهد عثمان تكفير الناس و استحلال دماءهم...فأخذوا يفسدون في الأرض...يقابلون المرء...أحدهم يحدثه من أمامه و الآخر يتربص به منه خلفه...يسألونه عن قوله في التحكيم...إن وافق قوله هواهم تركوه...و إن أجابهم أن التحكيم حقن الدماء و سكّن الأمور غدروا به و قتلوه...بقروا بطن امرأة معصومة تحمل جنينها في رحمها...سفكوا دم زوجها عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله و ضربوا عنقه على حافة النهر...يدّعون أنهم على مقربة من الله و

هم عنه بعيد...يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم و لا يدخل قلوبهم...يذبحون المسلمين بغير شفقة و لا رحمة...ديدن الإرهاب أن يمارسه الجهال فاقدي الألباب و القلوب...ديدن الإرهاب يمارسه ذوي الأرواح الخالية و الأنفس الخاوية.

علم عليّ بصنيعهم بالناس...أرسل إليهم رسولاً يطلب منهم تسليم القتلة...أجابوه كلنا قتلة...كلنا غوغاء كلنا أوغادٌ كلنا حمقى...هنا حث علي أصحابه على المسير إليهم و تأديبهم...و ذكّرهم بنبوءة رسوله الله عنهم...أن فئة ستمرق من المسلمين كما يمرق السهم من الرمية...يقتلها أولى الطائفتين بالحق....طائفة علي.

التحم معهم عليّ في معركة خاطفة و قصيرة عند النهروان...رفع علي رايات الأمان لمن لم يشاركهم فواحشهم...فانسل من بينهم خلقاً كثيراً...و بقيت فئة أخرى على رأسها حرقوص بن زهير...حاصرهم عليّ عن أيمانهم و عن شمائلهم...و جعل الرماة في قبلتهم...فاستقبلهم الرماة بسهامهم و نبالهم يصطادون عيونهم و قلوبهم...و باغتهم من كل مكان رجال أشاوس بالسيوف و الرماح...و عطفت عليهم الخيول من الميمنة و الميسرة...غُلب الخوارج على أمرهم...رأوا الموت يأتيهم من كل مكان...صرعهم علي تحت سنابك الخيول...أذاقهم الذل و الهوان...أظهر ضعفهم و كسر شوكتهم...قتل زعمائهم حرقوص بن زهير و عبد الله بن وهب...و من فر منهم حمل معه كابوس مفزع لذلك اليوم.

(٥)

استشهاد علي رضي الله عنه

بعد معارك الجمل و صفين و النهروان ، وهن جانب علي رضي الله عنه ، توالت الانشقاقات في صفوف جيشه ، ناهيك عن استيلاء معاوية على مصر ، و عندما عقد المسير إلى الشام لم يجد القلوب المذعنة ، وجدهم يحملون معركة صفين الطاحنة في مخيلتهم ، و كم من الشهداء و الثكالى و الأيتام نتج عنها ، ثم خرجت فرقة أخرى تغالي في تعظيمه و ترفع قدره إلى حد الألوهية قاصدين تمرير معتقدات فاسدة على المسلمين و زيادة تشرذمهم ، المنهج الشيعي الذي وضع لبنته عبد الله بن سبأ الذي ما زال يُتلف العقول في عهد عليّ ، لكن عليّ رضي الله عنه تصدى لتلك الفرقة و أحرق من رفعوه لمقام الإله ، فقال ضعاف الأحلام لا يحرق بالنار إلا رب النار ، و ظل هؤلاء البلهاء يتوارثون عطن عقولهم حتى الآن.

قشور الدنيا الزائلة لم يتحملها قلب يريد الله...كم تمنى عليّ أن يُعجّل الله منيته...اللهم إني قد سئمتهم و سئموني...مللتهم و ملوني...فأرحني منهم و أرحهم مني...يا ليت أشقى هؤلاء القوم يخضب لحيتي بدمي و يقتلني...حملوني على غير أخلاقي...جعلوني أصارع الدنيا...جرّعوني الأمرّين أنفاساً...فأبدلني بهم خيراً منهم يا ربي...

بألف درهم قد شرى سيفه...بألف درهم قد دس السم على نصله...عبد الرحمن بن ملجم...سبئيٌ من عبيد ابن السوداء...من باعوا عقولهم للفتنة بثمن بخس...شهدت عيناه جحيم يوم النهروان الذي أذاقه عليّ لأصحابه...فتعاهد مع البُرك بن عبد الله و عمرو بن بكر أن يتربصوا بعلي و معاوية و عمرو بن العاص...أخفق صاحبيه و أفلح هو...

تخيل معي ذلك المشهد...مشهد اغتيال آخر الخلفاء الراشدين...يعبر علي رضي الله عنه في شوارع الكوفة يوقظ الناس لصلاة الفجر...يعبر وحيداً بلا

حرس و لا سيوف...جريمة يسيرة...لا تحتاج لقوة صاحبها و جَلَده...تحتاج منه فقط أن يكون رضع الغدر بشكل جيد حتى شبع...تحتاج يداً خبيثة و قلباً أسوداً و عقلاً ممسوخاً و ضميراً ميتاً...كل تلك الصفات تجمعت لدى ابن ملجم...و ها هو يتعقب عليّاً في لُجّة الظلام...و ها هو عليّ تكاد قدماه تعبر عتبة المسجد...عليّ الآن يعطيك ظهره...كل قوانين الغدر تحققت أمامك يا ابن ملجم...فرصة ذهبية لتتقيّأ آنية القذارة من جوفك...هيا فلتتقيأ...ابن ملجم بضربة محكمة هوى بالسيف على رأس عليّ...أبصر الناس علياً يبتسم...سمع الناس عليا يصيح: فزت و رب الكعبة...أنت الشقي يا ابن ملجم الذي منحني الشهادة...منحتني الجنة و ربحت الجحيم.

لم يتمكن ابن ملجم من الهرب ، أمسكوا به و أحكموا وثاقه ، و أمر علي في آخر رمق له أن يكرموه و يحسنوا إليه فإن عاش علي فله الحكم فيه ، إما العفو أو القصاص ، و إن مات فليقتصوا من ابن ملجم و لا يقتلوا سواه ، و عند رب العالمين تجتمع الخصوم ، و كان استشهاده في شهر رمضان في الأربعين من الهجرة ، رضي الله عنه و أرضاه ، الإمام علي بن أبي طالب.

مقدمة عن الأحداث التاريخية قبل مقتل الحسين.

عام ٤١ هجرياً تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، و أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما تنبأ النبي ، فاستتب الأمن و انتهت الصراعات ، و حكم معاوية بالعدل و أعاد سلسلة الفتوحات بعد تعثرها في سنين الفتنة و عزز قوة المسلمين العسكرية ، فكانت في عهده أولى المحاولات لفتح القسطنطينية ، و فتح العديد من الجزر ، و سير الفتوحات ناحية بلاد الأندلس ، و أسس داراً لصناعة السفن البحرية ، و أنشأ الدولة الأموية العتيدة التي فتحت إسبانيا و البرتغال ، و توفي رضي الله عنه سنة ٦٠ هجرياً ، و ولّى ابنه يزيد بن معاوية من بعده ، و قد كان عاهد الحسن أن يدع له الخلافة إن جاءت منيته و الحسن على قيد الحياة ، لكن الحسن مات في خلافة معاوية ، لذلك رأى عند دنو أجله أن الطامعين في الخلافة كثير و لأجل اجتماع الأهواء و اعتصام المسلمين أوكل ليزيد الخلافة من بعده.

تمت البيعة ليزيد خليفة للمسلمين عدا أربعة صحابة لم يبايعوه و هم الحسين بن علي ، عبد الله بن عمر ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، عبد الله بن الزبير ، ثم بعد ذلك رأى عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بني أبي بكر أن وحدة الأمة و صلاح أمر المسلمين يستوجب مبايعة يزيد فبايع الصحابيان يزيداً و بقى الحسين و ابن الزبير على موقفهما بعدم مبايعته ، فقد علموه أرعن لا يأبه لأمور الدولة و أن معاوية تبع مبدأ التوريث و ألغى الشورى التي تقوم عليها الخلافة .

ولد الحسين رضي الله عنه في العام الرابع للهجرة ، سبط من الأسباط كما قال عنه النبي ، سيد شباب أهل الجنة مع الحسن ، ريحانتاي رسول الله ، شهد كل الصراعات التي حدثت في عهد أبيه ، رأى أن يزيداً ليس الأصلح لخلافة

المسلمين و هناك من الصحابة من نهل من معين رسول الله و هم أولى بها منه ، تمسك بكلمته و أبى مبايعة يزيد و أخذ يراسل أهل العراق و يحثهم على مناهضة يزيد و رفض تنصيبه ، لم يأبه لقلة عدته و عتاده و نصح كثير من الصحابة له بدرء المفسدة و الاقتتال و قبول البيعة ، لكنه كان يرى أن خلافة يزيد ظلم غاشم لابد من مجابهته ، فجاءته رسائل عديدة من الكوفة تطلب منه المسارعة في القدوم إليها ، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليتحرى الأمر ، و لما وصل بايعه اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فكتب للحسين أن أهل العراق جادون في طلبهم و دعمهم له ، لكن عدد من الصحابة حذره من غدر أهل الكوفة ، فالفتنة ما زالت تموج بها ، و كم من مرة خذلوا علياً و تقاعسوا عن نصرته و بها غدر به ابن ملجم ، لكن الحسين أصر على الخروج غير آبه بحياته و غير مدرك للخديعة الكبرى التي تنتظره ، فقد عزل يزيد النعمان من ولاية الكوفة لما رأى من لينه في معاملة مسلم بن عقيل و عين عبيد الله بن زياد بدلاً منه ، و جاء أمر يزيد لعبيد أن يلقي القبض على مسلم و يعدمه ، فتعامل بدهاء و مكر و أخذ يفرق الناس من حوله و يضعف جانبه حتى تمكن من القبض عليه و إعدامه ، و كان ذلك أثناء قدوم الحسين للكوفة فلم يتمكن من تحذيره ، و جاء الحسين كربلاء و لقي ربه شهيداً بها عام ٦١ هجرياً.

(١٧) قتلة الحسين

عبيد الله بن زياد

شمر بن ذي الجوشن

(٦١هجرياً-٦٨٠م)

سيد شباب أهل الجنة...ابن الأكرمين...حفيد المصطفى...كم داعبك رسول الله...كم قبلك و كم حملك على ظهره المبارك...يا ليتك لم تذهب...قال لك أحبتك لا تذهب لأرض يجري بها الغدر كما يجري نهري دجلة و الفرات...قال له الفرزدق الشاعر سوف يخذلك أهل العراق...و لو كانت قلوبهم معك فستكون أيديهم عليك...قد كتب يزيد بن معاوية لعبيد الله ينذره بتلك الطامة الكبرى...لقد ابتُلي به عبيد في زمنه من بين كل الأزمان و في أرضه دون كل الأراضي...إما أن يحسن التصرف فيُعتق أو يكون مكوث الحسين بالعراق كارثة تحل فوق رؤوس بني أمية...لم يطلب يزيد منه أن يقتل الحسين لكنه لربما أوحى له ضمنياً بذلك دون قصد ، لذا قد سرت رعدة السفاحين في جسده تلقائياً عندما أوكله حرية التصرف....

عندما وصل الحسين كربلاء ، أحاطت به خيول جيش الكوفة ، فتحدث مع عمر بن سعد بن أبي وقاص ، أنه لم يأت لقتال الإخوة و إراقة الدماء ، إنما قد جاء عندما انهالت رسائل أهل الكوفة عليه تحثه لنصرتهم ، و لكنه عندما حل على البلاد رأى غير ما لمسه من كتبهم ، فكتب عمر بن سعد لعبيد الله بن زياد يعلمه بحسن نوايا الحسين ، فرد عليه أن يعرض على الحسين مبايعة يزيد لكي يذروه يعود لمكة سالماً ، و بعد تفكير أحس الحسين بجهامة الموقف و خطورته و أرسل لعبيد يعلمه أنه ينوي الذهاب إلى الشام ليبايع يزيد بها يداً بيد...يبدو لمن قرأ عند هذا الحد أن الموقف المتأزم قد انفكت عقدته ، و أن

الحل أتى من صاحب المظلمة...ذلك يا عزيزي إن وافق عبيد الله بن زياد على إرسال رغبة الحسين للخليفة...لكن ذلك لم يحدث...هناك شيطان في حضرة عبيد الله في مجلسه يقبع...لسانه مضغة من غدر...قلبه تغلغل فيه الظلام...شِمر بن ذي الجوشن...وسوس لعبيد أن يطلب من الحسين أن ينزل على حكمه أولاً و يخضع لأمره...ثم بعد ذلك يرسلوه للخليفة...و عندما جاءوا للحسين قال...لا والله لا أنزل على حكمه أبداً...قد تنازل لكم مرة...لما رأيتموه في قبضة أيديكم أردتم أن تسلبوا إرادته و رفعة نفسه...و هو الكريم بن الأكرمين...ثم قال الحسين لأصحابه...أنتم في حلّ عن طاعتي...لكنهم تمسكوا بالبقاء معه...إن كانت شهادة فلنلقاها مع من تربى في كنف رسول الله.

صبيحة اليوم التالي تجهز الحسين للدفاع عن نفسه...نظّم أصحابه...وضع حطباً و قصباً وراء البيوت و أحرقه حتى لا يأتوهم من خلفهم...سيأتون يحملون الدنيا في قلوبهم...لن يظن أحد منهم أنه سيقتل هاهنا بأرضه و بين عتاده...بينما أصحاب الحسين سيدافعون عنه بفناء و فداء...يعلمون أن مكيدة قتلهم دبرت بليل...قد رفضوا يداً رفعها لهم الحسين بالسلام...و الخليفة في الشام لا يدري بصنيع واليه المتغطرس...جاء عبيد الله بن زياد و شمر بن ذي الجوشن يحملون الخسة و الوضاعة...جيش أمام عشرات من أصحاب الحسين...عندما هجموا عليهم و تبارزوا معهم أدركوا بسالتهم و فدائيتهم...من قُتل من جيش عبيد فاق عدد أصحاب الحسين...يذودون عن الحسين بسيوفهم و دمائهم...لكن لكثرة عدد جيش عبيد الله بن زياد تمكنت سيوفه و عرفت طريق أجسادهم...و بأرض كربلاء أحاطوا بهم حتى قتلوهم عن آخرهم...و لم يتبق سوى الحسين.

بين عشرات الجنود يقاتل الحسين بضراوة...عندما يخجل منك أعدائك...لقد كانت سيوفهم تهاب أن تمس لحمه فيحمل صاحبه وصمة العار على

جبينه...عار على سيف أن يقتل حفيد رسول الله...لكن الشياطين لا تعرف العار...شمر بن ذي الجوشن يأمر أصحابه أن يحملوا على الحسين و يقاتلوه كقتال الكفار...فيتلقى ابن الأكرمين أكثر من ثلاثين طعنة في جسده الطيب...على أرض كربلاء سقط الحسين مضرجاً بدمائه...على أرض كربلاء قتلوا حفيد رسول الله...على أرض كربلاء لعن التراب قاتليه...على أرض كربلاء ملقى الحسين تحت حوافر الخيول...تطؤه و تدك صدره...على أرض كربلاء مثّل السفاح بجثته...شمر بن ذي الجوشن ينخر في رأسه بقضيب...لطالما قبّل رسول الله تلك الرأس أيها الوغد الوضيع...ماذا فعل لكم كي يلقى منكم ذلك المصير؟...ماذا فعل الحسين كي تسكبوا دماءه؟...ماذا فعل كي تقطعوا رأسه؟...فلتهدأ يا روعي فهم بغاة...هم عاهرون...كما قُطعت رأس يحيى لأجل عاهرة...هم أيضاً يحملون العهر في أعماقهم...عقمت النساء أن تلدن مثلك يا حسين...قرة عين علي و فاطمة...مهجة فؤاد رسول الله...فلترقد خالداً مكرماً بين أحبتك يا ريحانة الأمة.

بعد ست سنوات لقى عبيد الله بن زياد حتفه و هلاكه ، على يد إبراهيم بن الأشتر النخعي...قصمه نصفين بسيفه...قطع رأسه و عبث فيها كما عبث برأس الحسين...

شمر بن ذي الجوشن...هرب بعد مبايعة الزبير...سلط الله عليه كيان أبو عمرة...الذي بارزه حتى ظهر عليه و مرر سيفه في أنسجته...ثم فصل رأسه عن جسده.

رأسي قاتلي الحسين حُملتا إلى المختار الثقفي حاكم الكوفة الذي طالب بثأر الحسين فور توليه و تمكن من تصفية أغلب من شاركوا في تلك الجريمة ، و

تجدر الإشارة هنا أن المختار الثقفي كان من المغالين لحب آل البيت و ادعى النبوة و الوحي و أنه ابتُعث ليقتص من قتلة الحسين ، و تمكن مصعب بن الزبير من إخماد ثورته و ضم العراق كلها للخليفة عبد الله بن الزبير.

مقدمة عن الحجاج بن يوسف الثقفي و الأحداث التاريخية.

بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، أعلن عبد الله بن الزبير خلع يزيد و بدأ يأخذ البيعة لنفسه ، فأرسل له يزيد جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير أخيه الذي كان تابعاً لبني أمية و رئيس شرطة المدينة ، لكنه لم يتمكن من عبد الله بن الزبير و انهزمت جيوشه ، ثم جاء الحصين بن نمير بجيش كثيف و لعدم تكافؤ الفريقين ، مُني ابن الزبير بالهزيمة و فقد خيرة أصحابه و تمت محاصرته داخل مكة ، و قذفوا نحوه الأحجار و اللهب بالمنجنيق حتى احترقت الكعبة في خضم القتال ، و في تلك الأثناء قبل استسلام عبد الله بن الزبير مات يزيد بن معاوية و ورّث الخلافة لابنه معاوية الثاني ، لكنه كان رجل صالح ضعيف في السياسة فتنحى عن الخلافة و ترك الأمر شورى بين المسلمين يولوا الأحق بها ، فاجتمع المسلمون على ابن الزبير في أغلب الأقطار و الولايات و بايعوه ، فأصبح الخليفة الشرعي للدولة الإسلامية (٦٤ هجرياً) ، إلا أن بني أمية بالشام لم يرُق لهم خروج الخلافة من بينهم فبايعوا مروان بن الحكم على خلافة المسلمين ، و أخذت الصراعات تنشب بين خليفتين أحدهما شرعي و الآخر طمع في الزعامة ، ثم حدث مؤتمر الجابية بالأردن نتج عنه إضفاء شرعية مروان بالخلافة و عزل عبد الله بن الزبير ، فرض مروان سيطرته على الشام بعد معركة مرج راهط ثم انتزع مصر من والي الزبير بها ثم أراد ضم العراق بعد ذلك من مصعب ابن الزبير ، لكنه وافته المنية في تلك الأثناء و وكّل الأمر لابنه عبد الملك بن مروان ٦٥ هجرياً ، استمر الصراع في عهده ، تمكن من ضم الحجاز و زحف ناحية العراق و هزم جيشه مصعب بن الزبير و قطعوا رأسه في معركة دير الجاثليق ٧٣ هجرياً ، و كانت تلك المعركة إيذاناً بانتهاء دولة عبد الله بن الزبير ، و كان في جيش عبد الملك قائد عسكري فتاك ، و هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، لم يضيع عبد الملك وقتاً بعد انتصاره على

مصعب و قرر أن يقضي على عبد الله بن الزبير بمكة فأوكل مهمة قيادة الجيش للحجاج.

الحجاج بن يوسف الثقفي:

ولد بالطائف(٤١ هجرياً-٦٦١م) ، أمه كانت حفيدة عروة بن مسعود رضي الله عنه ، نشأ بثقيف و درس القرآن و الحديث و اشتغل بتعليم القرآن في مطلع شبابه ، رغم تعظيمه لكتاب الله فإنه لم يكد يتجاوز تراقي قلبه و لم يُحسّن صفاته ، كانت الطائف تحت إمارة عبد الله بن الزبير ، لكن الحجاج كان يبغض ابن الزبير في هوى بني أمية ، لذا لم يمكث بالطائف كثيراً و انطلق إلى الشام حاضرة الخلافة الأموية ، و هناك بدأ يبني طموحه السياسي ، التحق بالشرطة و أظهر كفاءته و انضباطه فأحبه (روح بن زنباع) نائب عبد الملك بن مروان و قلده رئاسة شرطة الشام ، فضبط الأمور و عاقب المخالفين و المتقاعسين فاستتب الوضع بالشام لحنكته و بأسه ، معظم المؤرخين نعتوه بأبشع الصفات ، أنه كان جباراً عنيداً سفاكاً سفاحاً ناصبياً خبيثاً ، لقبوه بالمبير أو المبيد لإسرافه في إراقة الدماء بأدنى شبهة ، شارك مع عبد الملك بن مروان في معارك عديدة ، و أوكل إليه الخليفة الأموي مهمة التخلص من عبد الله بن الزبير ، فحاصر مكة و قتل ابن الزبير ، فكافأه الخليفة بإمارة الحجاز ، لكنه لم يظل بمقعده كثيراً لكثرة شكايات الناس من بطشه ، فعزله عبد الملك بن مروان و أعطاه ولاية العراق ، و بها دامت ولايته عشرين عاماً قمع فيها المعارضين أيما قمع ، حتى قيل أن ضحايا ظلمه تخطوا المائة ألف ، حارب الخوارج ، حدثت بعهده ثورة بن الأشعث التي كانت تمثل خطراً على الخلافة الأموية ، لكنه تمكن من إخمادها و القضاء على رؤوسها في معركة دير الجماجم ، بعد صراع مرير مع عبد الرحمن بن الأشعث و بعد خسائر متتالية لقواته لولا إرسال الدعم العسكري من الشام ، بعد وفاة عبد الملك بن مروان تولى ابنه

الوليد الذي أقر الحجاج على ولايته ، و في عام (٩٥ هجرياً-٧١٤م) مرض الحجاج مرضاً غريباً فتك به و هو في عمر ٥٤ بعد أسابيع من دعوة سعيد بن جبير عليه ، و دفن في مدينة واسط التي شيدها.

(١٨) الحجاج بن يوسف الثقفي

(٤١-٩٥هجرياً/٦٦١-٧١٤م)

(١)

حصار مكة و مقتل عبدالله بن الزبير

حصار محكم فرضه الحجاج على مكة لسبعة أشهر...لا طعام و لا شراب ينفذ من أقطارها...مجاعة شديدة تغزو أرض رسول الله...مجاعة تصل إلى ذبح الخيول لإطعام الأفواه...أصحاب ابن الزبير يتسربون من حوله كالماء الذي وجد مصبه عند الحجاج...حتى أبناء ابن الزبير خذلوه ليظفروا بأرواحهم...إنهم أمام مبير لا يعرف الشفقة...هنا الحجاج ينصب المنجنيق حول مكة...و عبد الله بن الزبير يحتمي بالكعبة...خُيّل له أن الحجاج سيوقر البيت الحرام...لكن الحجاج لا يوقر سوى بني أمية...لذا فقد انهالت الأحجار نحو الكعبة من كل اتجاه...تصطدم أحجار الحجاج الخبيثة بأحجارها الكريمة...تهدمت أسوار الكعبة...بيت الله و مركز الكون...فعل به الحجاج _كي يظفر بابن الزبير_ ما لم يفعله أبرهة الحبشي...

عبد الله بن الزبير يقف وحيداً أمام جيش و منجنيق و سفاح كبير...و ما زالت ذات النطاقين تربت على كتفه و تدعو الله أن ينجيه من طاغية الطائف...لا تمكنهم من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أمية...إني مقتول يا أماه من يومي هذا فلا تجزعي...ما أراد إلا صلاح أمر هذه الأمة...أنكر الظلم و أراد أن يقيم العدل...لكن الحجاج لن يبصر سوى تمرده على الأمويين...لن يدرك أنه سيقتل أول مولود في الإسلام...سيقتل حفيد أبي بكر الصديق...سيقتل ابن حواري رسول الله...عندما دانت لحظة النهاية...قاتلهم ببسالة و بأس شديد...يصد ضرباتهم من كل مكان...يحرك سيفه فيقطع به جزيئات الهواء...و هو شيخ

كبير...كأن شبابه و صباه خرجا من جسده و وجدا بسيفه سكناً...ظل يقارعهم بلا هوادة...حتى غلبته كثرتهم و تمكنوا منه...طعنوه بسيوفهم و أسقطوه أرضاً...سقط الكريم صريعاً بين جنود سفاح لئيم...قطعوا رأسه و قدموها للحجاج...ما زال المجرم يعبث بجسده ...لم يتشف منه بعد...أمرهم بصلبه على جذع شجرة...أمرهم بإحراق الحصير من تحته...رأسه بيديه و جسده معلق...رائحة المسك تغشى المكان...و روحه قد انفرجت لها السماوات...و أسماء بنت أبي بكر صابرة محتسبة...و الذين كبروا عند ولادته لهم خير ممن كبروا عند موته...و بزورق السفاحين أبحر الحجاج في بحيرات الدماء.

(٢)

الحجاج يخاطب أهل العراق.

عشرون عاماً و العراق تحت إمرة الحجاج...الظلم و الجور دخل عنوة كل البيوت...أصبح كالماء و الهواء...يشربون الظلم و يستنشقونه...ضاقت السجون و اكتظت بهم...إراقة الدماء بأدنى شبهة صارت قانوناً و صَكّاً...تقول بعض المصادر أن ضحاياه تخطو المائة ألف...عندما تقف أمام الحجاج فحاذر...كل لفظ يُنتجه لسانك يجب أن يصاغ بشكل سليم...و إلا لا تفزع إن حسست السيف يقص رأسك أو يخترق جسدك....

كما سلط الله البابليين على يهود فلسطين بعد فساد قلوبهم...سلط الله على أهل العراق الحجاج بعد أن غدت معقلاَ للفتن و المكائد.

يا أهل العراق...يا أهل الشقاق و النفاق و مساوئ الأخلاق...كم من فتنة وضعتموها و ضلال اضّجعتم في مناخه و سننتم سنن الغي...و أيم الله لأضربنكم ضرب غرائب الإبل و لأقرعنكم قرع المروة و لأعصبنكم عصب السلمة و لألحونكم لحو العود...يا أهل العراق إني أرى رؤوساً قد أينعت و

حان وقت قطافها...و إني لصاحبها...و الله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم و اللحى...و الله لا أحلق إلا فريت و لا أعد إلا وفيت...فاستوسقوا و اعتدلوا و لا تميلوا...فإني والله لأحمل الشر بثقله و أحذوه بنعله و أجزيه بمثله...و إن الخليفة نثل كنانة بين يديه...عجم عيدانها عوداً عوداً...فوجدني أمرّها عوداً...فوجّهني إليكم و رماكم بي...لئن تخلفتم بعد قبض العطاء لأضربن أعناقكم و لأنهبن أموالكم...

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا...متى أضع العمامة تعرفوني...

(٣)

هلاك الحجاج

حرب شعواء مع ثورة ابن الأشعث في معارك دير الجماجم...لم يكن لينتصر الحجاج لولا تدخل الخليفة...لم يكن لينتصر لولا قتله لكتيبة القراء في صفوف الثائرين...و أسر خلقاً كثيراً منهم سعيد بن جبير....

كان سعيد عالماً و فقيهاً و قد بايع ابن الأشعث على نصرته في حربه على الحجاج لما أحدثه بالناس من تجبر و استذلال ، و بعد هزيمة ابن الأشعث في دير الجماجم ساقوه إلى الحجاج مقيداً ، و بالعراق حدثت مناظرة بينه و بين الحجاج ، حيث أراد الحجاج أن يسمع منه مدحاً لبني أمية و ذماً لعلي و آل بيته ، لكن سعيداً لم يُسمعه ما يهوى ، و دخل مع الحجاج في مناظرة حامية ظهر عليه فيها و كبّل لسانه ، مجادلة رجل مخلص مع بغيض يتربص به الدوائر لينفذ فيه حكمه ، لذا فقد أمر الحجاج بذبحه ، فدعا قبل موته ألا يسلط الله الحجاج على أحد من بعده.

يا رب قد حلف الأعداء و اجتهدوا...بأنني رجل من ساكني النار...

أيحلفون على عمياء ويحهم...ما علمهم بعظيم العفو غفار...

ظل يردد تلك الكلمات عندما تمكن المرض من جسده...ظل يمقت لسانه الذي أصدر الأمر بذبح سعيد...فبعد أن مات سعيد بأسابيع لحقه الحجاج...لقد كان الحجاج يُعظم القرآن و يُنفق على أهله...لكن الحجاج لم يعظم حرمة دماء المسلمين...نزيف الأبرياء لم يتوقف...يستبيح قتلهم كأنه قد اقتنى أرواحهم...نحرٌ و صلبٌ و تقطيع أوتنة و طعنٌ بالوشيج و السيوف...ما من عقوبة صارمة قاصمة وردت بالقرآن كعقوبة قتل مؤمن متعمداً في الآية ٩٣ من سورة النساء...إن كنت قرأت القرآن و حفظته عن ظهر قلب يا حجاج ، إن كنت فهمت معانيه و فقهت تفاسيره ، أَعَجَزَ عقلك الذي يعج بالدماء عن إسكان آية النساء الثالثة و التسعين بين طياته؟...تطلب من الله أن يغفر لك؟...تطلب من القرآن أن يشفع لك؟...و قد تضمخ تاريخنا الناصع بطاغية مثلك...و نشهد أن الحكم لله وحده في أمرك...و ها أنت تنزع عنك ثوب السفاحين و تكتسي ثوب الضعيف المستكين في آخر أنفاسك...و تذر العراق و الحجاز ينتحبان على من سحقتهم آلة بطشك...و أمام الله سيشهد عليك كل من قتلتهم و قمعتهم و شبعت من دمائهم...إن كنت قد أفسدت عليهم دنياهم...فأنت مقبل على فساد آخرتك.

توضيح: نُعظم و نفتخر بالدولة الأموية و خلفائها لدورهم في نشر الإسلام و توسيع رقعة الدولة الإسلامية ، لا ننس عمر بن عبد العزيز العظيم ، لا ننس موسى بن نصير و طارق بن زياد و فتح الأندلس.

مقدمة عن الشيعة و كلا من القرامطة و الفاطميين و الحشاشين.

الشيعة ، المغالون في حب علي و آل بيته ، يعتبرونه الأحق بالخلافة بعد الرسول و أنه وصيه ، أن أبي بكر و عمر و عثمان سلبوا منه خلافته ، بعضهم رفعه لمقام الأنبياء بل الآلهة ، فرقة فاسقة من صنع الشيطان ، غرس بذرتها عبد الله بن سبأ ثم انبثقت منهم مدارس و أفكار عديدة ، منها من بقى حتى عهدنا هذا و منها من انقرض ، و طوائف الشيعة الراسخة في عصرنا حتى الآن هي :

١ـالشيعة الإمامية الإثنى عشرية: هم الغالبية العظمى و بها ثلاث مدارس فكرية هي : الأصولية ، الإخبارية ، الشيخية.

٢ـالشيعة العلوية: و قد افترقت عن الإمامية و لهم نفس عقيدتها.

٣ـالشيعة الزيدية: نسبة لزيد بن زين العابدين بن الحسين.

٤ـالشيعة الإسماعيلية و تنقسم إلى: الدروزية و النزارية(الأغاخانية) و المستعلية(البهرة).

و من أهم الطوائف المنقرضة.

١ـالقرامطة: انشقت عن الإسماعيلية ٨٩٩م و أسسها حمدان قرمط.

٢ـالحشاشون: كانت فرقة عسكرية تابعة للنزارية و أسسها الحسن الصباح.

٣ـالكيسانية ، الجارودية ، المحمدية ، الهاشمية ، السميطية ، الكيسانية ، و غيرها العديد من الطوائف المختلفة التي نسجها إبليس.

الإثنى عشرية: نسبة لأئمة الشيعة الإثنى عشر: علي بن أبي طالب ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ،علي زين العابدين بن الحسن ، محمد الباقر ،

جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، علي الرضا ، محمد الجواد ، علي الهادي ، الحسن العسكري ، محمد المهدي.

الإسماعيلية: نسبة إلى اسماعيل بن جعفر ، و من عباءتهم خرج الفاطميون الذين أسسوا الدولة الفاطمية على يد عبيد الله المهدي عام ٢٩٧ و حتى ٥٦٧ هجرياً ، أي استمرت ٢٧٠ عام ، حكموا من خلالها أجزاء كبيرة من الشمال الإفريقي و الشام ، و كانت مصر مركزهم و أنشأوا فيها الجامع الأزهر ، و ظلت في صراع دائم مع الخلافة العباسية ، و خذلوا المسلمين في أحداث كثيرة منها مساعدتهم للصليبيين في احتلال الشام ، اضطهدوا أهل السنة مراراً و نشروا مذهبهم بالقوة ، و خرج منهم (الحاكم بأمر الله) الخليفة الفاطمي السادس و السفاح الموتور الذي سنحكي لكم قصته.

القرامطة: انشقت عن الإسماعيلية و الدولة الفاطمية عام ٨٩٩م و أسسوا فرقة منفصلة يرأسها حمدان قرمط ، و تمركزوا في البحرين ، و قاموا بثورات عديدة على الدولة العباسية ، اتصفوا بالعنف و النهب و التخريب ، هاجموا الحجاج عدة مرات و سفكوا دمائهم ، أغاروا على مكة و البيت الحرام و قتلوا خلقاً كثيراً ، سرقوا الحجر الأسود من الكعبة و مكث عندهم عشرين عاماً ، أكثر زعمائهم دموية هو(أبو طاهر الجنابي) الذي سنحكي لكم جرائمه ، هلكت تلك الطائفة في نهاية القرن التاسع الميلادي و الرابع الهجري.

الحشاشون(الباطنية): أسسها الحسن الصباح ، كانت الجناح العسكري للنزارية الإسماعيلية ، نجح الحسن في الإستيلاء على قلعة (ألموت) و اتخذ منها حصناً منيعاً ، مكث فيها ٣٥ عاماً و لم يخرج منها حتى مات ، و من مركزه كان يرسل ميليشياته و جنوده ليقوموا بعمليات اغتيالية انتحارية بحق الوزراء و كبار رجال الدول العباسية و السلجوقية و الأيوبية ، حتى أنهم حاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي أكثر من مرة ، و كانت تمثل أخطر الفرق الشيعية على

الإطلاق ، و ظلت حتى اجتاح هولاكو الأخضر و اليابس و أباد الحشاشين عن بكرة أبيهم و من بقى منهم سحقه الظاهر بيبرس.

(١٩) القرامطة

أبو طاهر الجنابي

(٣١٧هجرياً/٩٠٨م)

أبو طاهر سليمان الجنابي...زعيم خائن لفئة خونة...عندما انشغلت الدولة العباسية عن رعيتها...خرج الجبناء من جحورهم...عندما ضعفت الخلافة العباسية برز في الأفق ضباب الشيعة كي يحجب نور الإيمان...منذ أن سقى شجرتها عبد الله بن سبأ و ذكّاها الشيطان...فأخرجت طعام الأثيم...يغلي كالمهل في بطون الأمصار الموحدة...فقد كانوا كالسوس الذي يفسد القمح و الورم الخبيث الذي ينخر في جسد دولة الإسلام...يُروجون أفكاراً فاسدة...يُلقون بها بين السفهاء و البلهاء...فيلتقفونها بعقولهم المعطلة التي لا تحسن التفكير...فتمكنوا من تسميم ذوي الأهواء...و أصبحوا يتغذون على الفتن...و ينهلون من الخراب...و يُخرجون عطنهم و قباحتهم للعالمين.

٣١١هجرياً ، هجم أبو طاهر على البصرة في حَلَك الليل ، أعمل السيف في أهلها و قدّ مضجعهم ، سادت الفوضى ، الناس يهربون من القرامطة كالمحمومين ، يلقون بأنفسهم في الماء كي لا يموتون غدراً ، فيموتون غرقاً ، سبعة عشر يوماً من القتل و النهب و التخريب ، ما من جيش يدرأ عن البصرة هؤلاء اللصوص ، و أبو طاهر بعد أن ذبحت سيوفه الكثير ، و بعد أن نهب رجاله من بيوت الناس الكثير ، غادر محملاً بالغنائم ، إلى أرض أخرى يروع آمنيها و يسرق أقواتهم ، دخل الكوفة و الرحبة و قرقيسيا ، ينشر الذعر و يسفك الدماء و ينهب الديار ، يرتعد الناس عند سماع اسمه ، ترتجف جيوش الدولة عند قدوم عصابته ، بطل من ورق ، بطل من هواء ، صنعه الضعف الذي دب في الخلافة العباسية ، قادة و وزراء يعزلون أنفسهم من مناصبهم ،

كي لا يحملون وصمات العار في ظل خليفة لا يحرك ساكناً ، و لا يردع حفنة من الآبقين زعزعوا كيان الأمة.

عام٣١٢ هجرياً ، بدأ القرامطة يمارسون جرائمهم بحق حجاج بيت الله ، و في طريق عودة القوافل تمركزوا خفية خلف الصخور و الأحراش ، حتى إذا عبرت القوافل أمام أعينهم محملة بأرزاق الحجيج ، تداعت الأكلة إلى قصعتها ، هجموا عليهم هجوم الرعاع الغوغاء ، من كان يملك سيفاً قاتلهم و من لم يملك وقع فريسة سائغة للقرامطة ، كتيبة عسكرية شرسة تحارب شيوخاً و نساءاً و تفنيهم عن أخرهم دون ذرة رأفة ، شيطنة السنة لدى الشيعة ميثاقٌ عاهدوا إبليس عليه ، كوّموا جثث الأبرياء ، صنعوا من أجسادهم تلّاً ، صنعوا من دمائهم نهراً ، صنع القرامطة من نذالتهم جبلاً ، نساء القرامطة يحملون الماء و يطوفون به حول القتلى ، يحملون الماء و يعرضونه على من به آخر رمق و يدّعي أنه قتيل ، قد ألقَ أزواجهن من القرامطة جينات القذارة في أرحامهن ، من رأوه يطلب الماء بشراهة يقتلنه بدم بارد ، و في نفس الوقت نهب رجالهن كل ما كانت تحمله البعير ، و ألقوا بجيف القتلى في الآبار ، و غادروا تاركين مذبحة بحق آلاف الحجيج.

مشهد الغدر و الخيانة تكرر في أكثر من عام ، مشهد سلب أموال الحجاج و أرواحهم ، مشهد الجبناء الذين لا تقدر سيوفهم إلا على الحجيج الآمنين ، أبو طاهر القرمطي يتعقب الحجيج ككلب أصابه السعار ، و الدولة العباسية غارقة في المشاكل ، تولى خلافة الأمة شاب صغير لا يفقه شيئاً في الحرب و السياسة و هو (جعفر المقتدر بالله) ، في عهده بلغ نفوذ الشيعة عنان السماء ، و لم يعد هناك رادع لفسقهم ، في عهده ترعرعت الدولة الفاطمية ، في عهده عاث القرامطة في الأرض فساداً ، في عهده سقطت هيبة الخلافة ، في عهده حكم النساء و سادت الرشوة و السرقة ، في عهده ثلاثة آلاف من

القرامطة يرأسهم أبو طاهر الجنابي هزموا جيوشاً للخلافة العباسية ، عندما أصبحت الأمة كغثاء السيل ، أعلم قارئي أن داخلك يغلي ، لكن الأمة في ذلك الوقت قد انحدرت للقاع في كل شيء ، الهيبة و الشجاعة و السيطرة و القدرة ، و إليك في السطور القادمة أبشع ما قام به القرامطة .

عام ٣١٧هجرياً ، يوم التروية ، في شهر ذي الحجة ، في رحاب الكعبة و في شعاب مكة ، أقام أبو طاهر مذبحة بشعة عند البيت الحرام ، عند الصفا و المروة ، عند بئر زمزم ، عند الكعبة و في جوفها ، في كل ركن شريف وطؤه الأنبياء زُهقت الأرواح و سُفكت الدماء ، استباح الخبيث الأرض المباركة في شهر حرّم الله فيه القتال ، الحجيج يفرون من سيوفه و يتعلقون بأستار الكعبة ، فيسكبون دماءهم عندها ، يمشي الدنيء الحقير بكبرياء ، بين السيوف و الدماء ، فوق أجساد الحجيج ، يقف على باب الكعبة رافعاً سيفه للسماء...يتفوه بكلمات وضعها الشيطان في فمه...أنا بالله و بالله أنا...يخلق الخلق و أفنيهم أنا...أين الطير الأبابيل؟...أين الحجارة من سجيل؟...

يأمر جنوده فيمزقون ستائر الكعبة ، ينزعون كسوتها و يشقونها ، يقذفون أشلاء القتلى في بئر زمزم ، في القاع جثث متراكمة بعضها فوق بعض ، يأخذك الدم المرسوم على جدران البئر إلى حيث تقبع الأجساد ، يردمون فوقهم بالتراب و الأحجار ، ينزعون الحجر الأسود من مكانه ، حجر الجنة الذي لطخته ذنوب البشر بالسواد ، ثلاثون ألفاً في شعاب أرض الرسول عبرت في لحمهم السيوف ، ثلاثون ألفاً ذبحهم القرامطة بدم بارد ، أين عمر؟ ، أين خالد بن الوليد ؟، أين عمرو بن العاص ؟ أين المعتصم و طارق بن زياد ؟، أين من اقتلع زئيرهم الجبال من أوتادها ؟ أين من صدح تكبيرهم في قصور هرقل و كسرى؟ ، حكم الإسلامَ قومٌ لم ينهلوا من معين الأشاوس ، تقزّز الحُرُّ من

جُبنهم و الأبيُّ من مذلتهم ، حكم الإسلامَ قومٌ سيوفهم من خشب و أفئدتهم هواء.

مكث الحجر الأسود عند القرامطة بالبحرين ٢٢ عاماً ، حتى أعادوه بأمر من الخليفة الفاطمي(المهدي العلوي) ٣٣٩هجرياً ، و هلك بعدها الزنديق الكافر عدو الله (أبو طاهر الجنابي) بالجدري و قد بلغ من الكبر عتياً ، و من بعده ضعفت فئة القرامطة و اضمحلت و طوى صفحتها الزمان إلى غير رجعة.

(٢٠) الحاكم بأمر الله

الخليفة الفاطمي السادس

(٣٨٦-٤١١ هجرياً/٩٧٧-١٠٠٢م)

براجون ، الحسن بن عمارة...دبّروا شئون طفل في الحادية عشر من عمره كي يحكم أرجاء دولة الفاطميين...يبلغ الطفل أشده...براجون ، الحسن بن عمارة يتخبطون في دماءهم و تنخلع أعناقهم!...بأمر من الحاكم!.

تسير في أرجاء المعمورة نهاراً...المدينة خاوية!...الأسواق معطلة!...الناس يغطون في سبات عميق!...ثم تمشي بها ليلاً...الأعمال على قدم وساق!...الناس يتحسسون ما يشتغلونه في الظلام!...صخب الأسواق في حلك الليل!...بأمر من الحاكم!...بعد فترة...الحياة تنتعش بالنهار...السكون يغشى المدن ليلاً...بأمر من الحاكم!.

اليهود و النصارى يهاجرون من مصر...كنيسة القيامة ببيت المقدس يتم تخريبها...إرغام أهل الكتاب على اعتناق مذهب الشيعة...بأمر من الحاكم!...ثم بعد قليل تُفتح لهم الأبواب و يُعمّرون كنائسهم...بأمر من الحاكم!.

المدارس الفقهية يتم تشييدها...تضج بالعلماء و الفقهاء و المشايخ...بأمر من الحاكم...ثم بعد وهلة...الجنود يدكّون أبواب المدارس!...العلماء و الفقهاء و الشيوخ جاءهم الموت الشنيع على أنصال السيوف!...بأمر من الحاكم!.

الوزير المرموق لدى البلاط...المستشار الفذ...يمدحه الناس و يرتقى في المناصب...بأمر من الحاكم...لم يمر الكثير من الوقت...الوزير الزنديق!...المستشار الأحمق!...جيفته أمام القصر يقتات منها الدود!...بأمر من الحاكم!.

الخطب تصدح بالمساجد...موضوع خطبتنا عن التقوى...عَمّر لسانك و أسماعهم بتقوى الحاكم!...موضوع خطبتنا عن الزكاة...لا أحد يُنفق مثل الحاكم!...موضوع خطبتنا عن الأخلاق...و من بالأرض أحسن خلقاً من الحاكم!...موضوعنا عن الجنة و الجحيم...الجنة لعبيد الحاكم و الجحيم يدخل كل دار بكلمة من الحاكم!...الخطيب ينطق لسانه(الحاكم)...الناس يصطفون وقوفاً!...إجلالاً للحاكم!...الناس يخرون على وجوههم ساجدين!...لأنه كذلك أراد الحاكم!.

فليحذر كل المواطنين...عقوبة صارمة على من نجد بحوزته السلاح الأخضر!...السجن و الجلد لمن نعثر بمنزله على السلاح الأخضر!...ما هو السلاح الأخضر؟!...الحاكم بأمر الله ينهاكم عن أكل الملوخية!!...الملوخية محرمة عليكم!!.

ما بال هذا الأبله حاكم البلاد يتجول في السوق بحمار؟!...و من هذا العبد الأسود الذي يمسك برسن حماره؟...ماذا يفعل العبد؟!...إنه يفعل اللواط بحق تاجر بالسوق!...ما بال الحاكم يقهقه؟!...ماذا فعل البائع كي يُعاقب بتلك الطريقة البشعة؟!.

هناك ورقة رسمت بإتقان على هيئة امرأة...إنها تمسك بيديها قَصّة بها شتائم على الحاكم...الحاكم يمر عليها...ماذا يفعل الحاكم!؟...إنه يقاتل الورقة!...يمزقها بسيفه...إنه يظنها امرأة حقاً!...ثم بعدما تبين أنها مجرد ورقة مقصوصة...ضحك ثم غضب...ثم أصدر فرماناً... عجز التاريخ عن معرفة الخيال الذي يسبح فيه عقل الحاكم بأمر الله.

الحاكم بأمر الله ، أغرب شخصية حكمت مصر ، كان عنوان التضاد و التناقض ، لم يكن يحركه عقله البتة ، كان يدفعه الهوى ، كان يدفعه الجنون ، طفل في

الحادية عشر ، يجلس فوق عرش و لا تكد أقدامه تمس الأرض ، ثم يملئون إنائه بالكبرياء و التبجيل ، و يحوطونه بهالة من التعظيم ، و قد انحدر من رحم شريعة فاسدة و حركة باطنية هدامة ، ثم يمكث على العرش خمسة و عشرين عاماً ، و يفعل ما يحلو له في أرض خضعت له ، يقتل من يشاء ، يقهر من يشاء ، يُحل ما يشاء ، يُحرّم ما يشاء ، يصدر الفرمانات ، بتدمير الكنائس ، بتخريب المدارس و قتل العلماء ، بإلزام الناس بالسجود عندما يذكر الخطيب اسمه ، يتجول في الأسواق بحمار و يأمر عبده أن يلوط بتاجر غشاش ، يُغرق الشعوب في بحور العته و التخلف.

إن كان نيرون برّأه بعض المؤرخين من جريمة حرق روما ، فالتاريخ يذكر أن الحاكم بأمر الله حرق ثلث القاهرة بديارها و شعبها و دوابها و مروجها ، يسبي النساء و يفعل عبيده بهن الفواحش ، ينهب نصف المدينة ، يفتك بوزرائه و رجال قصره لخطأ تافه بدر منهم ، قيل أنه قتل ثمانية عشر ألفاً ، و كاد أهل الذكر ينقرضون من تسلطه عليهم ، ثم يبلغ شذوذ عقله مداه عندما يدّعي الألوهية ، و طالما رأى نفسه إلهاً ، فليفعل بالناس ما يريد ، و ليس غريباً على الشيعة ، عندما تبيع نفسك لإبليس و تمنحه عقلك يحرك تروسه ، منهم من ادعى أنه نبي ، منهم من قال أنا المهدي المنتظر ، و منهم من قال أنا ربكم الأعلى.

أبغضه الشعب و ضاق به ذرعاً ، حتى أقربهم إليه كان يتحين وقت هلاكه ، و بنفس نسق حكمه المليء بالغرابة و الجنون ، كان مقتله غريباً أيضاً ، أتت نهايته بتدبير من اخته(ست الملك) و أحد أمراءه.

في أذناب حكمه كان يتجول ليلاً عند جبل المقطم ، يشاهد النجوم و الكواكب ، بلا حراسة ، فمن ادعى الربوبية قد تخيل أن الموت لن يأتيه من عبيده ، و في

إحدى الليالي بينما كان شارداً يتطلع للقمر ، يناجي النجوم ، من خلفه يتقدم اثنان من العبيد السود ، ذاب سوادهم في ظلمة الليل و تجانس فأصبحوا كالأشباح ، و في لحظة خاطفة ، قفز أحدهم يُطوّق الحاكم بين ذراعيه ، و الآخر نحره بخنجره كمن ينحر شاة العيد ، ذبحوه و فروا ، ظل الناس يبحثون عنه أياماً ، حتى وجدوه عند المقطم ملقى ، جيفة غادرتها الروح و سكن جوفها الدود ، و بتلك البساطة أهلك الله من ادعى أنه الحاكم بأمره.

(٢١)الحشاشون

الحسن الصباح

(٤٣٠-٥١٨هجرياً/١٠٣٧-١١٢٤م)

حياته قبل تأسيس فرقة الحشاشين(الجناح العسكري للنزارية):

ولد بقرية فارسية تسمى(قم) ، كان على مذهب الإثنى عشرية ، ثم انتقل لقرية(الري) ، فقابل معلمين المذهب الإسماعيلي و اعتنقه ، بعدها ذهب إل مصر في زمن المستنصر بالله ، و بقى بمصر ثلاث سنوات عمل وزيراً في البلاط الفاطمي ، ثم طرد منها بعدما نشب خلاف بينه و بين أمير الجيوش (بدر الدين الجمالي) ، ذلك أنه بعد وفاة المستنصر تنازع على الحكم ولديه المستعلي و نزار ، و كان الحسن من مؤيدي أحقية نزار بالخلافة ، لذلك بعدما تولى المستعلي تم إخراج الحسن من مصر ، فسخّر جل وقته للدعوة لولاية نزار بن المستنصر و نسله بعد وفاة نزار بالسجن ، و من ذلك أُطلقت على دعوته (النزارية) ، كانت تؤمن أن نزار سيعود للحياة كالمهدي المنتظر ليأخذ ما هو حقه ، و أخذ الحسن يتنقل بين البلدان يستجذب الأنصار و ينشر مذهبه الجديد ، و كان يشغله أن يعثر على مقر حصين يستقر به و يدير من خلاله حركته الباطنية و يحميه من مطاردة السلاجقة و الفاطميين و العباسيين ، فلم يجد أفضل من قلعة ألموت المنيعة ، فقد كانت على ارتفاع ستة آلاف قدم بين الجبال ، ليس لها إلا طريق واحد على هيئة ممر جبلي ضيق يتعسر على جيش أن يسلكه ، و يحوطها منحدرات جبلية وعرة ، قلعة شاهقة الارتفاع و مبنية على طراز أسطوري ، لا تبلغها قذيفة منجنيق ، لم يذكر التاريخ من قام بتشييدها ، لكن الحسن الصباح تمكن من شراءها من أحد الحكام العلويين ، و مكث فيها ٣٥ عاماً لم يخرج منها قط ، و بين جنباتها قضى نحبه يخطط و

يغسل أدمغة أنصاره ، و أرسل من قاعدته جنوده لينفذوا أبشع العمليات الإغتيالية التي أفزعت العباسيين و الأيوبيين و السلاجقة طيلة قرنين من الزمان حتى تمكن هولاكو من هدم القلعة فوق رؤوسهم و إبادتهم.

داخل قلعة ألموت: مأوى الجن ، و معقل الشر ، بداخلها تمخّض عقل الحسن الصباح عن القبح و المكر و المجون ، بداخلها صنع لأنصاره جنة وهمية ، بداخلها سلب منهم عقولهم ، بداخلها نزع منهم إرادتهم و طبع في كيانهم الطاعة و الخضوع لأمره ، إن أمر أحدهم أن يُلقي بنفسه من فوق أسوار القلعة فلن تتجاوز الحروف شفتاه و قد سحقت الأرض عظام من تلقى الأمر ، عندما يبدع الشيطان ، بل إبداعه أبهر الشيطان ، جمع السموم و النباتات المخدرة و أخذ يدرس تأثيرها و مفعولها ، مزج بعضها ببعض ، أخرجت يداه مشروب النعيم ، خلطة مخدرة عندما يمنحها لأتباعه فإنهم يحلقون في السماء ، يخترقون السحاب ، يسبح عقلهم في النشوة و ينهل من النعيم ، فيمنحونه عقولهم يحركها كيفما شاء ، دأب على تغييبهم و إسكان مذهبه الفاسد بأعماقهم ، حلل لهم قتل الأئمة و العلماء متعللاً أنهم يبثون أفكاراً مسمومة ، أسقط عنهم كل التكاليف من صلاة و صوم و غيرها ، منحهم كل ما يريدون من مال و طعام و خدر عقلي و جنسي ، أنشأ حدائق واسعة غناء في ساحات القلعة ، غرس بها كل لذات الدنيا ، ثمار دانية و أنهار جارية و جواري فاتنة ، ثم أطلق عنانهم يغترفون من المتعة ، و يعدهم بما هو أعظم إن منحوا أرواحهم في سبيله ، ولاءهم له كان يسري في دماءهم و يسقي كل خلاياهم ، تارة يبعثهم لاغتيال شخصية مرموقة بالدولة العباسية أو السلجوقية ، تارة لعقد معاهدة مع الصليبيين أو حتى لقنص قائد لهم ، شكل خلية إرهابية شديدة الانحراف ، هم و فرسان الهيكل سواء ، صنع مجتمع منغلق على أصناف القذارة كلها ، السكر و العهر و الكفر و القتل باسم الدين و الخيانة ، فتح

الصباح العديد من القلاع الأخرى و سيطر على عدة أقاليم تذمرت من إهمال السلاجقة لهم ، و عندما حاول السلاجقة دك أسوار القلعة ، جروا أذناب الفشل و الخيبة ، و لم يكف الحسن الصباح و خلفائه من بعده عن عمليات القتل الغادرة المأجورة و التسلط على العلماء و القادة ، الحشاشون هم نتاج معتقد خرق كل حدود الله ، نتاج حركة الشيعة التي مُني بها الإسلام ، و إسلامنا منهم براء.

أهم الاغتيالات: استمر الحشاشون في تنفيذ العمليات الانتحارية خلال أكثر من قرنين من الزمان ، حرمت أيديهم الآثمة الأمة من قادة نبلاء في أحلك ظروفها ، و من أبرز الشخصيات التي قُتلت بأيديهم.

١.نظام الملك: الوزير العباسي ، تلقى طعنة غادرة متقنة من خنجر حشاش تنكر له في زي شحاذ يطلب صدقة.

٢.عماد الدين زنكي : المجاهد العظيم الذي قد مضجع الصليبيين و سحقهم في عدة معارك ، تسلل لخيمته حشاش و ذبحه و هو نائم.

٣.مودود بن التونتكين: أمير الموصل ، مرهق الصليبيين ، باغته أحد الحشاشين أثناء تجوله في باحة المسجد بطعنة خنجرية غائرة.

٤.آق سنقر البرسقي : أحد الأمراء السلجوقيين ، هجم عليه اثنا عشر باطنياً أثناء صلاته بالمسجد و تناوشوه بخناجرهم حتى سقط شهيداً.

٥.أبو علي الآمر بأحكام الله: خليفة فاطمي ،و هو ابن المستعلي، الحاكم الذي طرد الصباح ، أثناء مرور موكب الخليفة تقدم نحوه أحدهم في زي متسول يدعو للخليفة و يُقبل الأرض تحت حصانه ، و بحركة مباغتة بقر بطن حصانه بخنجره فطرح الخليفة أرضاً ، فلم يمهله البقية حيث برز فجأة سبعة من الحشاشين انقضوا عليه و مزقوه إرباً.

٦.ذكر البعض أنهم وراء مقتل الخليفتين العباسيين المسترشد و الراشد.

٧.أكثر من مرة حاولوا قتل الناصر صلاح الدين ، لكنه في كل مرة كان يفطن إلى غدرهم و يوقع بهم و يستأصلهم.

و الكثير من عمليات الاغتيال المدبرة ، و مات الصباح داخل القلعة و لم يكن له ذرية تكمل عمله الشيطاني ، فتولى أحد قادته(بزرك أميد) ، و ظلت القلعة قائمة حتى جاء هولاكو يبيد الأمم و يحرق الأخضر و اليابس.

مقدمة عن الأندلس و سفاحيها:

بلاد الأندلس(دولتي إسبانيا و البرتغال) ، يفصلها عن بلاد المغرب مضيق جبل طارق ، أطلق عليها العرب (شبه جزيرة) حيث تحوطها المياه من كل جانب عدا في جهة الشمال حيث سلسة جبلية تربطها بفرنسا ، مساحتها أكبر من نصف مساحة مصر ، كانت تحت حكم قبائل القوط النصرانية قبل الفتح الإسلامي ، و كانت الأندلس تصرخ من الفساد الاقتصادي و الاجتماعي و الفجوة العميقة بين حاكميها و رعيتها ، و الجهل قد أكل منهم و شرب ، شعوب تنطق بالإشارة و تفتقر للغة تجمعها ، النظافة الشخصية منعدمة حيث كانوا يستحمون في العام مرة و يذرون شعورهم تنسدل على وجوههم ، الفقراء بلا مأوى و مسكن ، معتقدات فاسدة و عادات مقيتة تستشرى فيما بينهم ، الهمجية و قانون الغاب يحكمهم ، حتى حمل لهم الإسلام شعلة النور و العلم و الحضارة.

كانت الأندلس تابعة للإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع الميلادي ، ثم بعد سقوط الإمبراطورية الغربية استقلت بحكم ذاتي على سدته القوط الغربيين ، قبيل الفتح الإسلامي كان حاكم الأندلس هو (لذريق) القوطي.

٩٢هجرياً/٧١١م ، بعد أن فتح المسلمون كل بلاد الشمال الإفريقي عقدوا العزم على التوغل في أوروبا عبر الأندلس ، و في خلافة الوليد بن عبد الملك تم الفتح المجيد ، بعد أن ثبت (موسى بن نصير) دعائم الإسلام في إفريقيا و وطد أركانه بدأت حركة فتح الأندلس ، جعل ابن نصير على ميناء طنجة المتاخم للأندلس أحد أمهر قواده الأمازيغي القائد العظيم (طارق بن زياد) ، ثم تغلب على العقبات التي كانت تعوق فتح الأندلس حيث بنى الموانئ و السفن و جهز الجيش الإسلامي و رسخ التعاليم الإسلامية في نفوس الأمازيغ و فتح

(سبتة) التي تفصله عن الأندلس ، ثم جاء الأمر من الخليفة لموسى بن نصير الذي نقله لقائده المحنك طارق بن زياد ، و في ٩٢ هجرياً تحرك القائد بجيوشه و سفنه صوب جنوب الأندلس ، فتح الجزيرة الخضراء ثم تقابل بلذريق في معركة(وادي برباط) في جيش قوامه ١٢ ألفا أمام مائة ألف من الأندلسيين ، من أشرس معارك التاريخ و أعظمها لدى المسلمين ، ملحمة أسطورية يسطرها طارق بن زياد ، المسلمون سحقوا عشائر القوط شديدة الضراوة ، كسرت القلة المؤمنة عشرات الآلآف من جيش لذريق و أيّدهم الله بنصر مؤزّر ، ثم اكتسح المسلمون باقي بلاد الأندلس و سقطت أمامهم تباعاً ، و مكّن الله جنده في أرض الأندلس ، نشروا العدل و الرقي و رفعوا كرامة الشعوب ، عجب أهل الأندلس من تسامحهم و عدلهم و ظنوهم جنود من السماء ، ثمانية قرون من الزمان و الإسلام مزدهر في بلاد الأندلس ، و بعدها كان السقوط مأساوياً و مفزعاً ، حيث مرت على الأندلس سنين ضعف و تشتت ، و لم يتوقف الصراع بين المسلمين و الصليبيين ملوك قشتالة و ليون و نورماند، حيث كان الفرنج يتحينون لحظات الضعف لينتقموا من أناس اقتلعوا جذورهم من أرض سكنوها قروناً ، و أفظع المآسي كانت (مأساة بربشتر ، مأساة بياسة و أُبذة و بلنسية ، مآسي سقوط غرناطة) و عن تلك الأحداث المؤسفة ستكون رحلتنا في الحديث عنها ، كما سنحكي لكم عن سفاح مسلم من طراز الخوارج و الشيعة ، و كيف كان نقمة على مسلمي الأندلس.

جيوم دي مونري: أحد كبار قادة حملة رومة على بربشتر ، من ولاية نورماندي الواقعة شمال غربي فرنسا ، و النورمانديون كانوا قوماً وثنيين سكنوا تلك الولاية في بداية القرن العاشر الميلادي حصلوا عليها من شارل الثالث ، ثم اعتنقوا النصرانية قبل دخول المسلمين الأندلس ، و جيوم كان من أكابر فرسان عصره و أشدهم ، خدم الكرسي الرسولي حتى أصبح قائداً

للجيوش الباباوية الرومانية ، تلقى إشارة من البابا(الإسكندر الثاني) عام١٠٦٤م بالهجوم على مدينة بربشتر الحدودية ، فحشد قوات فرنسية إيطالية بولاية نورماندي و ساقها إلى المدينة التي كانت تحت حكم المظفر يوسف بن هود.

السيد القنبيطور(رودريجو دياث دي بيبار): فارس مرتزق فتاك من قشتالة ، كان يخدم في بلاط الملك ألفونسو السادس ، لكنه سرعان ما تم نفيه خارج قشتالة لسوء سمعته و مشاكله مع الملك ، فجمع حوله جنوداً مأجورين و شكّل فرقة مرتزقة تحارب من أجل المال و السلطة ، استعان به القادر بن ذي نون(حاكم بلنسية) في حربه مع المنذر بن هود ، فترة صراع ملوك الطوائف في طليطلة و سرقسطة ، و ذلك بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ، لكن القنبيطور تمكن بألاعيبه من الاستيلاء على بلنسية ١٠٩٤م بعد مقتل القادر و بعد حصار شديد للمدينة ، فأذل المسلمين و شردهم و أكثر من تقتيلهم و قمعهم ، و ضم مدن أخرى لحكمه ، و غدا أبرز الشخصيات في الشرق الأندلسي ، مات ١٠٩٩م و ترك الحكم لزوجته ، حيث قتل ابنه في معركة مع المرابطين ، حكمت زوجته(خيمينا) بلنسية عامين ، و مكثت المدينة بأيدي المرتزقة الفرنجة حوالي ثمانية أعوام حتى استردها المرابطون ١١٠٢م.

محمد بن تومرت: مؤسس دولة الموحدين بالمغرب و الأندلس و مشعل الثورة على دولة المرابطين ، أمازيغي الأصل ولد ١٠٨٠م ، نشأ شغوفاً للعلم متجولاً في البلاد الإسلامية لتحصيله ، ذهب لقرطبة و الاسكندرية و مكة ، ثم مكث ببغداد عشر سنوات ، حيث كانت تموج بالتيارات و المذاهب المختلفة ، فتلقى العلم من علماء السنة و الشيعة ، و عاد لبلاد المغرب العربي في عمر ٣٩ ، يحمل أذخاراً من العلم و بحوراً وفيرة من الدين ، فغدا من كبار علماء

عصره ، و أخذ يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، ناهجاً مسلك الترهيب و الشدة ، و له مواقف عديدة من التشدد في أمور الدين ، ما عرف اللين الذي نهجه المصطفي في بداية دعوته ، فارتأى لنفسه أن يكون فظاً غليظ القلب ، يبغي أن يغير المنكر تغييراً جذرياً بلا تدرج ، فغره علمه و قسوته فصار هو المنكر ذاته ، قابل رجلاً يدعى (عبد المؤمن بن علي) شاركه أفكاره و علمه و نسجا معاً خيوط الثورة على المرابطين و جمعا حولهما الأنصار ، وجدوا تفشي الخمور و السفور و ظلم ولاة المرابطين ، و ذلك لم يكن يعجب دعاة الثورة ، فقد رأى ابن تومرت أن الفواحش و المنكرات تستشري في كل صقع ، فلزم التغيير ، و بدأ بتأليب الصدور على علي بن يوسف بن تاشفين ، و أخذ ينحدر إلى مستنقع الانحراف العقائدي ، فادعى أنه المهدي و أنه معصوم من جميع الرذائل موافقاً مذهب الشيعة الاثنا العشرية ، و زاد ضلاله فأخذ يُكفّر من يشاء من الولاة و الرعية ، ثم استحل دماء المرابطين و كل من خالفه ، معتدياً على الأنفس المسلمة التي حرم الله إزهاقها ، و استغل العلم الذي حباه به الله أبشع استغلال ، و افتتن به الناس لغزارة علمه و فراسته ، و بعد أن كثر أتباعه تحصن في قرية (تينملل) ، و أخذ يقاتل المرابطين ، التقوا في تسع معارك رجحت كفة الموحدين في سبعة منها ، و ظل يشن الغارات على مراكش معقل أمير المسلمين يقتل و يسبي و ينهب ، و مات بعد موقعة البحيرة التي سحق المرابطون فيها جيوشه تاركاً البيعة لعبد المؤمن بن علي ، الذي واصل المسيرة من بعده و كان المؤسس الفعلي لدولة الموحدين على أشلاء ٨٠ ألف مسلم ببلاد الأندلس حصيلة الحروب.

ألفونسو الثامن: ملك قشتالة الملقب بالنبيل ، اشترك في حروب الاسترداد ضد الموحدين ، تحالفاً مع مملكة ليون و أراغون و نافارا تمكن من اسقاط العديد من الحصون الإسلامية ، ولد عام ١١٥٥م للملك سانشو الثالث ، خلف

أباه على العرش صغيراً في سن الثالثة ، فحكم قشتالة وصي ألفونسو حتى بلغ أشده ، قاد حملة صليبية شديدة الضراوة على دولة الموحدين بتزكية من البابا إينوسنت الثالث و بدعم من أغلب الإمارات الصليبية عام ١٢١٢م ، كانت ذلك رداً على الهزيمة القاصمة التي ألحقها بهم أبو يوسف يعقوب المنصور في معركة الأرك الخالدة ، فانتهز فرصة ضعف الدولة بتولي الناصر شئونها و تمكن من الانتصار عليها في موقعة العقاب ، ثم بعد ذلك وجد الطريق مفتوحاً لإسقاط المدن الإسلامية التي بقيت بلا حماية ، ففتح بياسة و أُبذة بهمجية و وحشية و اشتهر في التاريخ بقاطع الرؤوس ، و لقي حتفه عام ١٢١٤م بعد عامين من موقعة العقاب.

فرناندو الخامس و إيزابيلا: بعد سقوط كل ممالك المسلمين بالأندلس عدا غرناطة التي صارعت مصيرها المحتوم مائتي عام ، توحدت مملكتين نصرانيتين بعد صراع هما قشتالة و أراجون ، بدأت بوادر هذا الاتحاد عام ١٤٧٤م ، عندما اعتلت إيزابيلا عرش قشتالة و اعتلى فرناندو الخامس عرش أراجون ، أما إيزابيلا فقد كانت اخت الملك هنري الرابع الذي مات تاركاً فتاة صغيرة شكك النبلاء في كونها من صلبه ، لذلك لم تجد إيزابيلا عراقيل أمام تحكمها بقشتالة فقد كان أغلب النبلاء يناصرونها و تمتعت بعطف شعبي جارف جعلها جديرة بالعرش ، أحبت إيزابيلا فرناندو و تم عقد قرانهما في حياة أخيها الملك هنري ، ثم تم إعلانها ملكة لقشتالة و ليون بعد وفاة أخيها ، و تقاسمت الملك مع فرناندو الأراجوني و سكّ إسميهما على العملات ، و تمكنا من صد هجمات ملك البرتغال و دحره فاستتب لهما الحكم ، و ظل الحكم بينهما مشترك في قشتالة حتى توفي ملك أراجون ، فتولى ابنه فرناندو الخامس العرش من بعده ، و توحدت المملكتين تحت إسمي فرناندو و إيزابيلا ، و توجهت الأنظار ناحية غرناطة آخر ذكرى للمسلمين بالأندلس ، التي دقت الحروب الأهلية

مسامير نعشها في عهد علي بن سعد بن الأحمر ، ناهيك عن إهماله لشئون مملكته و ركونه للدعة و الراحة ، على الجانب الآخر كانت هناك عقول تدبر ليلاً و نهاراً كي تسقط آخر معقل إسلامي ، فرناندو الخامس كان أميراً لا يمتلك وازعاً إنسانياً يحركه ، يسعى لتحقيق مطامعه مهما كانت وسيلة ذلك ارتكاب أبشع الجرائم ، و كان يجنح للغدر و لا يعرف الوفاء ، إلى جانب قدرته السياسية و العسكرية الفائقة ، و إيوائه لحية تسعى في قصره تدعى إيزابيلا ، التي وُصمت بالتعصب الأعمى و النزعة الصليبية الدموية ، مع تمتعها بالذكاء و تأييد الشعب ، فكانت مقارنة الاثنين بحاكم غرناطة كمن يقارن فرخاً بحوت ، ابتلعا غرناطة في جوفهم و أسقطوها ، و بعد تلك النكسة الكبيرة دفعوا المسلمين للتهجير و التنصير و التنكيل و أصدرا أبشع قانون عرفه التاريخ ، قانون محاكم التفتيش ، قانون إبليس.

(٢٢)جيوم دي مونري

قادة حملة رومة

النورمانديون

مأساة بربشتر

(٤٥٦هجرياً/ ١٠٦٤م)

ما قبل المأساة: عصر ملوك الطوائف ، عصر غدت الأندلس فيه كحبات العقد المتناثرة ، العصر المظلم الدموي ، الذي حدثت فيه إبادة جماعية لمسلمي بربشتر ، تقسمت الأندلس لسبع ممالك ، تمزقت الدولة إلى ٢٢ دويلة ، تفتقت إلى فتات تغذى عليه ملوك الفرنج ، بنو عبّاد حكموا إشبيلية ، بنو زيري حكموا غرناطة ، بنو جهور أخذوا قرطبة ، بنو الأفطس حكموا غرب الأندلس حيث إمارة بطليوس ، بنو ذي النون حكموا طُلَيْطلة ، بنو عامر حكموا شرق الأندلس و بلنسية ، و بنو هود تملّكوا سرقسطة و ما حولها حيث بربشتر في نطاقهم ، بعد وفاة سليمان بن هود تناحر أبنائه على الحكم و استقل كل منهم بولاية ، أحمد بن هود كان أكثرهم مكراً و غدراً ، تمكن من بسط سلطانه و إخماد ثورة إخوته غير آبه بدماء المسلمين ، و تفرد بحكم سرقسطة و المدن المحيطة بها ، في خضم نزاعه مع إخوته و قبل أن يخمد نيرانهم ، زحف النورمانديون بقيادة جيوم دي مونري إلى بربشتر ، فتمكنوا من إسقاط بربشتر بعد أن أبادوا البشر و هتكوا العرض و ضمّخوا التراب بالدماء ، مذبحة شنيعة أفجعت المسلمين في الشرق و الغرب ، وصمة عار على جبين بني هود ، مكثت بربشتر بأيدي الفرنج تسعة أشهر ثم تمكن المقتدر أحمد بن هود من ردها لأملاكه بعد معركة شرسة مع الفرنج.

مأساة بربشتر: هتكوا بخيلهم قصور حريمها...لم يبق لا جبلٌ و لا بطحاء...جاسوا خلال ديارها فلهم بها...في كل يوم غارة شعراء...كم موضع غنموه لم يُرحم به...طفلٌ و لا شيخٌ و لا عذراء...و عزيز قوم صار في أيديهم...فعليه بعد العزة استخذاء...لولا ذنوب المسلمين و أنهم...ركبوا الكبائر ما لهن خفاء.(الفقيه بن العسال عن الفجيعة).

خذلك يا بربشتر أحمد بن هود...خذلك يا بربشتر يوسف بن هود...خذلك كل المسلمين بالأندلس...صمدتي وحيدة أمام جيش الفرنج...قطعوا عنك المياه و حاصروك أربعين يوماً...استباحوا دماء شعبك و سرقوا عذرية أبكارك...مائة ألف يا بربشتر...مائة ألف شهيد فوق أرضك...و ما هبوا لنصرتك...لطموا وجوههم و طأطأوا رؤوسهم و ما هبوا لنصرتك...لفظت جفونهم دموعاً حارقة لم تكف لغسل الدماء التي سكبها الفرنج في كل أرجائك...و ما نفع البكاء و قد خذلتم بربشتر...و ما نفع الكلمات إن لم تحرك سيوفكم...إن لم تلهب أرواحكم...إن لم تدفع رياحكم... لتعصفوا بعدو خسيس متسلط لا يعرف للعهر حدوداً.

دخل جيوم دي مونري بربشتر بجيشه ، تصدى له بعض أهلها و قاتلوه قتالاً عنيفاً حتى كبّدوه أرواح خمسمائة فارس ثم تحصنوا داخل بيوتهم ، فقام بطمس قناة الماء التي تغذي المدينة ، فنال العطش منهم و جفف حلوقهم و زاغت أبصار صغارهم ، فناداهم أن لهم الأمان إن خرجوا إليه ، ميثاقٌ لهم أن يدع الحياة تجري لتروي ظمأهم ، فخرج من تهاوت أوصاله من الجفاف و هلكت مواشيه من العطش ، ظنوا أن لهم عهداً و وعداً ، ظنوا الفرنج أُولي كلمة و ذمة ، فلما خرجوا من ديارهم هرولوا إلى المياه و تزاحموا عليها ، هنا قد برقت الخسة في مقلتي قائد النورمانديين الحقير ، و هاله كثرتهم ، و اقتحم عقله خيال مرعب ، أنه لو هب جيش المسلمين لنصرتهم فلسوف يقصم أهل

بربشتر ظهور الفرنج من الداخل ، هنا قرر أن يدير رحى القتل بحقهم في كل موضع ، إبادة جماعية شنيعة في أنحاء بربشتر ، ذبحٌ طعنٌ بقر بطون ، دماء قانية تسيل في كل مكان ، رقدت الأشلاء في كل شبر ، صراخ أهلها يصم الأذن و يقتلع الفؤاد من محجره ، من خمسين لمائة ألف شهيد في بضعة أيام ، كلاب الفرنج مارسوا بحقهم أبشع صور الاضطهاد ، تعفنت الإنسانية داخل أرواحهم ، اقتطعوا الضمير بخناجرهم ، يذبحون الطفل أمام أمه ، يفتضون البكر بحضرة أبيها و الثيب بعين زوجها ، و ينتقون الحسناوات سبايا و الأشداء من الرجال عبيداً ، و ينهبون خزائن البيوت و أرزاقها ، أفنوا خلقاً لا حصر لهم ، و خيم السكون الموحش على المدينة ، و خضعت لهم تسعة أشهر لفظوا خلالها كل أصناف الوقاحة و النازية ، و المسلمون في أصقاع الأندلس ما دارت مراجل الحمية داخل صدورهم و ما دفعتهم ريح الثأر لإخوانهم.

قد قال(ابن حيان) عن حال المسلمين بالأندلس وقت المأساة: غربلهم الزمان أشد غربلة...سفسف أخلاقهم...سفّه أحلامهم...اجتث أعراقهم...خبّث ضمائرهم...فاحتوى عليهم الجهل و اقتطعهم الزيف و أركستهم الذنوب...ليسوا في سبيل الرشد بأتقياء...و لا على معاني الغيّ بأقوياء...اغتروا بزمانهم و بعدوا عن طاعة خالقهم...رفضوا وصية رسولهم...غفلوا عن سد ثغرهم...ذهلوا عن النظر في عاقبة أمرهم...فظل العدو يسعى ليطفئ نورهم...يتبحبح عراص ديارهم...يقطع كل يوم طرف منهم...و يبيد أمة...فلله عاقبة الأمور و إليه المصير.

بعد أن مكثت بربشتر بأيدي الفرنج تسعة أشهر ، و بعد أن لحق العار بأحمد بن هود ، أعلن الجهاد و نادى بالنفير العام في بلاد الأندلس ، فسار إلى بربشتر و ضرب عليها الحصار ، و دارت معركة شرسة مع الفرنج ، قتل منهم الكثير و سبى و غنم ، و رد المدينة لأملاك المسلمين.

(٢٣)السيد القنبيطور(رذريق)

رودريجو دياز دي بيبار

مأساة بلنسية

(٤٨٧هجرياً/١٠٩٤م)

في التاريخ الاسباني تجدهم يُضفون عليه هالة من العظمة و الوطنية ، و هو في الحقيقة كان مرتزقاً همجياً جشعاً سفاكاً للدماء ، يجثو خلف المال دون أي ملة أو مُثُل ، لمع نجمه عندما تقاتل ملوك الطوائف المسلمون فيما بينهم ، سلّطه بنو هود على أقطار الجزيرة يستبيح دماء إخوانهم و يغرز علمه في أفلاذ أكبادهم ، فكان عِقالاً و داءً عضالاً ، عظم شأنه و طغى غيّه ، و ذاع صيته من شره ، و اقتطع بلنسية و أذاقها الأمرّين ، رذريق كان سفاحاً نسجه بنو هود و صنعه عشقهم للسلطة ، كان قاتلاً مأجوراً حتى رست سفينته على أرض بلنسية.

كان يخدم ألفونسو السادس ، ثم لما طرده ملك قشتالة ، بدأ يؤجّر نفسه للأمراء المسلمين ، فخدم المقتدر بن هود صاحب سَرَقُسْطة ، و لما تُوفيَ المقتدر خدم ابنه المؤتمن ، و لما مات المؤتمن استمر يحارب مع ابنه أحمد المستعين ، و لما وقع القادر بن ذي نون في محنة حصار المنذر لبلنسية ، بعث لررذريق و المستعين يستنجد و يستنصر بهما ، لكن القادر لم يكن يعلم النوايا الكامنة لدى القنبيطور و المستعين في الاستيلاء على بلنسية ، لذلك عمد رذريق لأسلوب الحيلة ، بل لعب على ثلاثة حبال ، كي لا تستقر بلنسية بأيدي أياً من الأمراء الثلاثة المستعين و المنذر و القادر ، فقد صوب سهام مثبطة للثلاثة ، وعد كل منهم على حدا أن يحارب لأجله ، في نفس الوقت خاطب ود ألفونسو السادس و بيّن له أنه خنجره الساكن في ظهر المسلمين و

جنوده طوع أمره ، فدعمه ألفونسو بجنود وسلاح و أخذ منه ميثاق أن يسلمه الأراضي التي ينتزعها منهم ، لكن هيهات فقد كان لرذريق طموحه بوطن لا ينازعه فيه أحد.

عاد القنبيطور من قشتالة يقود سبعة آلاف مقاتل ، عصابة مرتزقة ، أخذ يفرض الجزية بالقوة على الأمراء الضعفاء من المسلمين ، و بعث له القادر بأموال طائلة نظير أن يحميه و يقاتل بعصابته معه ، فتغير عليه ألفونسو ، حيث أن رذريق لم ينتزع له أراض المسلمين بعد ، بل أخذ يجمع الذهب و يهادن أعداءه ، لذلك فقد تحرك ألفونسو صوب بلنسية ليعاقبه و يسقط المدينة ، لكنه لم يتمكن من إسقاطها و رذريق بعصابته التي لا تعرف الرحمة يدافع عن بلنسية مع القادر ، فعاد خائباً و رأى أنه لن ينفعه خسارة فارس فتاك مثل رذريق فجدد معاهدته معه ، و لما أثقلت مطالب رذريق كاهل عامة أهل بلنسية ، فقد تعاظمت لديهم رغبة التخلص من القادر الذي جلب لهم ذاك البلاء ، فتكفل القاضي جعفر بن جحاف بتفعيل بغيتهم و تزعّم ثورتهم و استعان بأحد قادة يوسف بن تاشفين من المرابطين الذي بعث إليه بسرية ، فقبضوا على القادر و قتلوه بعدما وجدوه مختبئاً في حمام القصر يحتضن صندوقاً من الذهب ، و تولى ابن جحاف حكم بلنسية ، و لم يدرك العامة أنهم أيقظوا رغبة رذريق في حكم بلنسية و أنهم قتلوا مروض ذلك الوحش المفترس.

سار رذريق نحو بلنسية إثر مقتل صاحبه ، ضرب حولها الحصار إيذاناً باقتحامها ، حرق ما حولها من المزارع و المروج و استولى على المناطق المتاخمة ، بعث لابن جحاف يتوعده و يأمره بتسليم المدينة لكنه أبى إلا أن يذبّ عنها ، لم يكن ابن جحاف يأوي إلى ركن رشيد من حيث موارد بلنسية و عساكرها ، و باءت استغاثاته لإخوانه المسلمين في الإمارات الأخرى بالفشل ، لبعد الشُقّة و انهماكهم في قتال بعضهم و قتال ألفونسو ، لذا فقد تحمل عبء

مجابهة الطاغية وحيداً ، فشدد القنبيطور الحصار على المدينة ، كثر عيثه حولها و قطع عنها الأقوات ، عشرون شهراً و رذريق مُطبقٌ على صدر بلنسية حتى اختنقت ، عشرون شهراً من الجوع و الوباء و التململ ، قرية كانت آمنة مطمئنة غدت قبراً معتماً ضيقاً ، نفذت الموارد و هلكت الحيوانات و انعدم الطعام ، ذاب شحم الجسد و لحمه فتحول الناس إلى هياكل ، جلدٌ على عظم ، أكلوا الكلاب و الفئران و الجيف ، بل أكل الناس في بلنسية بعضهم بعضاً ، في بلنسية عليك أن تبق منتصباً ، إن خارت قواك فكفر الجوع سيجعل طهوك عليهم هين ، خلف الأسوار طاغوت منتشي ، و داخل بلنسية شعب غدا كالأشباح من الجوع و المرض ، من فر من ذاك الجحيم لقيه رذريق خلف أسوار المدينة بالهلاك ، يفقأ عينه أو يقطع يده أو يدق بالمسامير ساقه أو يريحه بالقتل أو يحرقه أو يصلبه ، كأن رذريق قد حوى مستودعاً للرذائل في قلبه ، و لما زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر ، استسلمت بلنسية لرذريق.

ضاقت كل السبل بابن جحاف ففاوض رذريق ، و نتج عن ذلك معاهدة ملزمة ، أن يبق ابن جحاف قاضياً و حاكماً ، أن يؤمَّن الناس على أرواحهم ، و أن يدفعوا الضرائب لرذريق ، و أن تفتح أبواب المدينة لحامية من جنده ، و أن يبق القنبيطور في معسكره لا يطأ بلنسية ، لكن هيهات ، ما إن فتحت المدينة تم نقض العهد ، و احتل رذريق لتوه أبراجها و قصرها ، و خطب في الناس كسيد عليهم ، انساق مع هواه لئيماً ، فتك بهم فتكاً أثيماً ، و نكل بهم أيما تنكيلاً ، أصدر أمراً باستباحة دماء كل من وُجد في داره شيءٌ من الحديد ، سيفٌ أو خنجرٌ أو سكينٌ أو حتى الإبر و المسامير ، ميّز الناس ، فمن كان منهم له علاقة بعسكر المدينة جرده أو نفاه أو قتله ، و من كان لا يفقه سوى رعي البهائم صرفه ، ففتك بأشداء بلنسية و شبابها و ترك لها العجائز و

الجبناء ، حوّل مسجد بلنسية لكنيسة ، و استنزف خيراتها و أقوات أهلها ، أكل أحشاء بلنسية و لم يشبع ، حرث أرضها طغياناً ليلهو فيها و يرتع ، أذاقها الويلات ، و جرّعها كؤوس النكبات...(عاثت بساحتك الظبا يا دارُ...و محا محاسنك البلى و النارُ...أرضٌ تقاذفت الخطوبُ بأهلها...و تمخضت بخرابها الأقدار...كتبت يدا الحدثان في عَرَصَاتها...لا أنت أنت و لا الديار ديارُ)...(أبو إسحاق ابن خفاجة).

بعد أن هدأت له الأجواء و استكانت له المدينة ، سيق له الرجل الذي صمد أمام بغيه عشرين شهراً ، الرجل الذي أوصد المدينة فتمنعت على رذريق حصونها ، و لولا أن الجوع قد نخر في جوفها لما وطأها ذلك الطاغوت ، ساقوا إليه القاضي جعفر بن جحاف يرسف في قيوده ، أمر جنده أن يحفروا له خندقاً و يضعوه في منتصفه ، ثم سوّى التراب حوله ، ثم ضم الحطب نحوه ، و أضرم ناراً عظيمة تلفح الوجوه القاصية ، و أخذت النار تزحف نحو ابن جحاف مكبلاً ، و هو يدعوها أن تحث الخطى ، لما دنت منه قبض على أقباسها و ضمها لصدره يستعجل المنية التي تحملها ، و بنوه و زوجته يشاهدون حرقه بعيون باكية و قلوب مقهورة ، و احترق قاضي بلنسية الباسل على رؤوس الأشهاد ، و من بعده أصاب كلب الفرنج السعار ، فأخذ يحرق و يشنق و يأسر ، و يبيع لحوم الناس للوحوش المفترسة ، و ظل يلد فجره و فسوقه بها طيلة ست سنوات.

اهتزت الأندلس لسقوط بلنسية مثلما اهتزت لبربشتر و طليطلة ، و كأنهم لا تستفيق أفئدتهم إلا بعد أن يرتوي العدو من دمائهم ، لمع نجم قائد عظيم(يوسف بن تاشفين) ، بدأ يُركّز دعائم دولة المرابطين ، و يعيد أمجاد المسلمين ، بدأ يتحرك المرابطون نحو الأصقاع التي تدنست بالفرنج ، و سحقوا ألفونسو و رذريق و أرضخوهم بالهزائم المرة ، و قتلوا (ديجو) ابن

رذريق في إحدى المعارك ، و بعدها بأيام معدودة توغل المرض في جسد نبت من دماء المسلمين ، تسلل القهر و الكمد إلى روح رذريق الخبيثة بعد هلاك ابنه ، فلقى حتفه عام ١٠٩٩م ، و حكمت من بعده زوجته (خيمينا) لمدة عامين ، و بدأت جحافل المرابطين تقترب أكثر من فتح بلنسية ، و أبادت جيوش القنبيطور و ألفونسو ، ففرت خيمينا من المدينة لما عجزت عن الدفاع عنها ، فاسترد المسلمون بلنسية عام ١١٠٢م ، فرأت النور بعد الظلمة ، و تنفست الصعداء ، و طل عليها وجه السكينة ، و هبّت فوقها ريح الإسلام العطرة.

(٢٤) محمد بن تومرت

مؤسس دعوة الموحدين

(٤٧٣-٥٢٤هجرياً/١٠٨٠-١١٣٠م)

نشأ في بيت متدين من الأمازيغ ، نشأ شغوفاً و نهماً للعلم ، جاب المشرق و المغرب يقتطف ثمراته ، ثم لما أثمرت حدائق العلم في عقله لم يحصد منه الناس سوى الضلال و فساد العقيدة ، تبين أن ابن تومرت كان يسقي شجرة العلم بأدران الشياطين ، ذلك العالم النابغ الفذ ، الذي وصفه ابن خلدون بالبحر المتفجر من العلم و الشهاب الواري من الدين ، عندما تمدد عقله ليسع علم الأرض ، كان قلبه مثل سَمّ الخياط لا يتسع للرحمة و اللين ، فما زاده العلم إلا انحرافاً و فتنة.

طرده والي الإسكندرية لمّا رآه متشدداً في الدين لدرجة التنفير ، و لما ركب السفينة قاصداً بلاد المغرب العربي ظل على حدته مع ركابها ، اشتد مع الناس و اختلف معهم ، فما كان منهم إلا أن ألقوه من السفينة في عرض البحر ، و ظل يسبح بإزاء السفينة نصف يوم حتى أشفقوا عليه و رفعوه على ظهرها ، و لما وصل تونس جلس في شارع يترصد المارة ، فلا يرى معهم آلة ملاهي أو إناء خمر إلا نزعه منهم و كسّره ، بوجه مكفهر و صوت حاد لم يكف عن إخافة الناس و تهويل أعمالهم ، و ما كان ذلك منهج الإسلام ، ما هكذا كان يدعو رسولنا الرحيم الليّن.

لما كان ابن تومرت في بجاية ، قابل رفيق دربه و مؤسس دولة الموحدين(عبد المؤمن بن علي) ، وجد فيه ضالته فغرس فيه دعوته ، و جمعا حولهما الكثير من الأنصار ، و أطلقوا على أنفسهم (الموحدين) ، و كأن كل من دونهم ليس موحداً ، و اختمرت فكرة التغيير في عقولهم ، تحت قناع أن المرابطين قد

كثرت آثامهم فقد أحلوا لأنفسهم سفك الدماء المسلمة ، و الحق أنه ما كان في دولة المرابطين ما يُعطي الصك لمحمد بن تومرت أن يفكك وحدتها و يخرج على أمراءها ، و لو كان علي بن يوسف بن تاشفين لا يحمل الخير في داخله لما سمح لتلك الدعوة بالنمو و لوأدها في المهد ، بل طلب عقد مناظرة مع ابن تومرت ، و لم يكن يقدّر العلم الغزير الذي يحمله هذا الرجل ، لم يكن يعلم أنه سيناظر رجل شرب فنون العلم و المجادلة حتى ارتوت كل خلايا عقله ، لذا فقد تفوق عليه ابن تومرت و حمّله وزر كل ذنب على أرضه ، و أسقط هيبته أمام حاشيته ، فقويت شوكت ابن تومرت و طغى كبرياء نفسه.

في قرية في عمق الجبل تسمى(تينملل) تحصن محمد بن تومرت و أتباعه ، منها نضجت دعوته و بها قبره ، أشرب الناس محبته و سقاهم طاعته ، بلسانه الفصيح و علمه الواسع و ادعاءه الزهد افتتن به الناس ، احتنك ارادتهم ، جعل عقولهم صلصالاً في يده ، فقبلوا منه انحراف عقيدته صاغرين ، فقال لهم: أنا المهدي ، نسبي يرجع إلى النبي ، أنا معصوم من الكبائر و الصغائر و النسيان ، أنا منزه عن الفواحش و الرذائل ، و هكذا رفع نفسه لمقام الأنبياء ، فما ثبتت العصمة إلا لهم ، موافقاً بذلك الرافضة الاثنا عشرية ، منحدراً بعقيدته إلى هوة سحيقة ، معطياً لنفسه الحق في تكفير من يشاء ، علي بن يوسف ، ولاته ، علمائه ، وزرائه ، من يعمل تحت حكمه ، من يرضى بحكمه ، كلهم كافرون.

لكي يهدم دولة المرابطين من جذورها و يقيم دولته على أنقاضها فقد استحل دماء المرابطين ، أمر بالخروج عليهم و سفك دماءهم ، كل من قتل مرابطاً فله أجر عظيم في الدنيا و الآخرة ، متساهلاً في إزهاق الأرواح المؤمنة ، سالكاً سبل الخوارج ، تحول من عالم دين إلى آثم مخادع لئيم ، لقي رجل يسمى الونشريشي ، رجل على شاكلته في الإفك و البغي ، استعان بالونشريشي في

انفاذ مبادئه الفاسدة و تضليل الأفئدة الغضّة ، كان الونشريشي عالماً حافظاً للقرآن ، أمره ابن تومرت أن يبطن علمه و يظهر للناس أنه مجنون يسيل لعابه على وجهه و يكتسى ثوباً بالياً ، أنه رجل أمّي بلا عقل في جمجمته ، ثم دعاه للجهلة الحمقى ، ممن لا يفقهون و لا يستعملون بصيرتهم ، ثم أوهمهم أن الونشريشي آية من عند الله ، مبشراً لكم مطلعاً على سريرتكم ، تُعرض عليه خبايا قلوبكم ، بعثه الله ليمحّصكم و يميزكم ، مباركٌ كشُف عنه الحجاب ، ثم أمره أن يقرأ القرآن و هو غير قارئ فختمه أمامهم في أربعة أيام ، يسأله في أمور لا يدركها سوى المتبحر في الدين فيجيبه بحكمة و استرسال ، و كذلك بهت الناس و ألبس عليهم دينهم و غرهم بعلمه و أطفأ نور الإسلام في قلوبهم فانصاعوا له كالدواب.

ادعى أن الونشريشي قد أعطاه الله نوراً يعرف به أهل الجنة من أهل النار ، و أخذ يختبر قلوب تابعيه ، يمتحن مدى تأثيره فيهم و ولائهم له ، نادى في الناس أن يأتوه من كل فج عميق ، و عرضهم على الونشريشي الذي قال عنه أنه البشير ، من جعله البشير على يمينه فهو من أهل الجنة و قد ظفر بروحه ، و من أخرجه على يساره فهو ما زال في شك من أمر ابن تومرت و بذلك هو من أهل النار و دمه حلال ، فقتل الأخ أخاه و الأب ابنه و الزوج زوجته لنيل رضا إمامهم و بشيره ، و أخذ يعهد إلى رجاله يلقون أهل اليسار من فوق الجبل فتنسحق عظامهم ، فأمعن في الناس قتلاً ، تمكن شراكه من أرواحهم فقتل بعضهم بعضاً ، في سبيل إرضاء نفسه الفاسقة قُتل سبعين ألفاً في تلك الأيام ، فذلك كان صنيعه بمن تبعه حتى يتسنى له أنصار لا تشوب طاعتهم له شائبة و لا غصة نفس ، فذات مرة أخفى رجالاً له في قبور و آبار ، و جاء في جماعة من الناس ليريهم آية مخاطبته الموتى ، و أمرهم أن يجيبوا فتكلموا مادحين له معظمين لجلاله معلنين للناس أنه المهدي المنتظر الذي عصمه الله

، ثم بعد ذلك ماذا فعل بهم ؟ ، كي لا يُفتضح أمره فقد طمر القبور و الآبار فوق رؤوسهم بالحجارة و التراب ، فهلك تحت الطمي أتباعه و دفنهم أحياء.

كان ابن تومرت يقصد المناطق الجبلية الوعرة حيث يسكنها أقل الناس تعقل و يستشري فيها الجهل لبعدهم عن معين العلماء ، فكان يقتل كل من فطن حقيقته و ثبّط عزائم الناس عن اتّباعه ، و نجح في إذاعة أفكاره و نشر دعوته ، و تربص بالمرابطين و فتك بهم في الكثير من المعارك حتى كانت موقعة البحيرة ، حيث أعد ابن تومرت جيشاً قوامه أربعين ألفاً و قابل جيش علي بن يوسف عند مراكش ، حدث بينهم اقتتال عظيم ، خارت فيه عزائم الموحدين ، و هلك في تلك الحرب أكثرهم ، حيث قُتل الونشريشي أحد رؤوس تلك الدعوة ، و ظل القتال طيلة النهار حتى كاد المرابطون يفنوهم عن آخرهم ، فلما حل الظلام فرّ عبد المؤمن بن علي بمن تبقى من الأحياء إلى الجبال ، عادوا لابن تومرت يحملون جرح الهزيمة الغائر الذي لم يندمل إلا بغارات الغدر التي قاموا بها على أطراف مراكش ، و لم يلبث ابن تومرت كثيراً بعد تلك الموقعة ، قصمه الله عام١١٣٠ م ، مات بعد أن أوصى و بايع عبد المؤمن بن علي لتولي زعامة الموحدين ، و بعد أن نجح في ترسيخ دعوته و غرس بذرة الموحدين ، فقد أكمل نهجه من بعده عبد المؤمن بن علي و تمكن بعد حروب طويلة من إسقاط دولة المرابطين ١١٤٦م.

(٢٥) ألفونسو الثامن

مآسي موقعة العقاب

(٥٤٩-٦٠٨هجرياً/١١٥٥-١٢١٤م)

عام ١١٩٥م تجرّع ألفونسو الثامن مرارة هزيمة موقعة الأرك الخالدة على يد أبو يوسف يعقوب المنصور أعظم خلفاء دولة الموحدين ، كانت ملحمة أسطورية ازدان بها تاريخ المسلمين و كبدت ممالك الصليبيين في الأندلس أكثر من مائة و خمسين ألف قتيل و غنائم لا حصر لها ، كانت عواقب تلك الكارثة في التاريخ الصليبي و خيمة فقد أرغمت أنوفهم على قبول الهدنة و أشعلت الصراعات فيما بينهم و ألقوا على ألفونسو عبء تلك الخسارة الفادحة ، لذلك فقد تحيّن كالذئب فرصة ضعف دولة الموحدين ليمحُ هزيمة الأرك من ثنايا ذاكرته ، و واتته بالفعل تلك الفرصة بعد وفاة المنصور الموحدي ١١٩٩م ، فخلفه من بعده ابنه الناصر لدين الله ، الذي انشغل في القضاء على الثورات الداخلية ، فتجدد الأمل لدى ألفونسو لرد الاعتبار ، جهز العدة و خالف الهدنة و هجم على بلاد المسلمين ينهب و يقتل و يحرق الأخضر و اليابس ، كل المعاهدات نُبذت و كل مبادئ السلم خُرقت ، و حرّك النصارى رحى القتال مع جيوش الموحدين ، فزحف جيش كبير على رأسه الناصر ، و التقى الجمعان في منطقة العقاب ، فشهدت المنطقة باسمها أنه العقاب المر لجيوش المسلمين الذين أعجبتهم كثرتهم و خّيم شبح الغرور على نفوسهم ، و في أرض المعركة ضاقت الأرض بهم و تلقوا هزيمة قاسية قاصمة نكراء و ولوا مدبرين ، تركوا بياسة و أُبذة و العديد من المدن بلا حماية فارتكب ألفونسو بها المجازر ، و لم تمر الكثير من السنين بعد تلك الموقعة و سقطت قرطبة و إشبيلية و ممالك

المسلمين تباعاً و انحصر ملك المسلمين في الأندلس ، و لم يبق سوى غرناطة التي حكمتها الخيانة و أسقطها التخاذل من بني الأحمر.

حملت الرياح أنباء الهزيمة لأهل بياسة ، أحست بياسة بأنفاس الفرنج تدنو من أجوائها ، دب الخوف في القلوب و لاحت للناس مشاهد مجازر الفرنج في الأفق الأسود ، و قد بقيت بياسة بلا جند يدافع عنها بعد فرار الناصر ، فهرول الناس منها مذعورين ، كل من يقوى على الركض ركض ، كل من يقوى على الهجر هجر ، هرع الشباب خارجها مخلّفين ورائهم العجائز ، تركوا مرضاهم الذين نخر المرض في أجسادهم سنين طويلة كي يظفروا بموت سريع من سيوف ألفونسو، ، فرغت بياسة من أهلها ، لم يبق بها سوى الكهول و المرضى و بعض من عاشقي تراب الوطن ، من وهن عظمه و اشتعل الشيب في رأسه و سقى دمه من ترابها ظل ببياسة في لحظات سقوطها ، في مسجد المدينة الكبير تكدسوا ، ملئوا جنباته بالدعوات و الصلوات ، عندما دخلها ألفونسو وجد ديارها خاوية على عروشها ، خرّب البيوت و أحرقها و نهب ما أبقاه الناس من متاع ، حث الخطى نحو المسجد الكبير حيث يقبع المستضعفون ، حطّموا أبوابه و خرّبوا أركانه ، دخلوه عنوة و انتهكوا حرمته ، و تالله حرمة النفس لأعز عند الله من تخريب مساجده ، لكن هؤلاء الرعاع لم يحفظوا حتى للأرواح المسالمة حرمتها ، أمعنوا قتلاً في العجائز و المرضى ، لم يرحموا أحداً احتمى ببيت الله ، مرروا سيوفهم في أجساد الجميع ، سكبوا على زرابي المسجد دماء الجميع ، عجّ المسجد بالرؤوس و الأطراف و الأشلاء الممزقة ، قتل ألفونسو -لعنه الله- كل من تبقى من أهل بياسة بالمسجد الكبير ، عاث بساحات المسجد و دنّس أرضه الطاهرة و ذبح الأبرياء بغير شفقة.

بعد أن فرغ السفاح من مجزرة بياسة تحرك ناحية مدينة أُبذة التي تبعد سبعة أميال عن بياسة ، كانت مدينة زاخرة بالمزارع و الغلال ، عندما غزاها

ألفونسو وجد أهلها يملئون أرجائها ، لم يهربوا منها كما فعل أهل شقيقتهم ، عندها غمرته نشوة القتل ، وليمة دماء دسمة غير تلك التي ظفرها في بياسة الخاوية ، أجساد لا قيمة لها في نظره تتوق رؤوسها لنصال سيوفه ، أقام عليها ثلاثة عشر يوماً ثم دخلها بقوة السيف ، قتل و سبي و غنم ، ضمّخ نهرها بالحمرة القانية ، لا حصر يومئذ للجثث المتراكمة و البيوت المنهوبة ، ملئت السبايا جنبات قصور الفرنج ، تجاوز ضحايا المسلمين بعد موقعة العقاب و قبلها المائة ألف شهيد ، في بياسة و أبذة و بلنسية و قرطبة ، موقعة العقاب محت من قلوب المسلمين وقتئذ الحمية و الجسارة ، فما وُجد في بلاد المغرب و الأندلس شاباً يصلح للقتال ، فرارٌ بعد فرار ، و خوفٌ كبّل السيوف ، و من ألفونسو تمخضت أسطورة إسبانية أوجدتها هشاشة الموحدين عهد الناصر و خلفائه ، كان حتماً أن يتداعى بناء ترسخ فوق الدماء ، بناء تحت أنقاضه فساد العقيدة ، بناء على أشلاء المرابطين ، أثمرت نبتة ابن تومرت بعض العسل و جل ثمرتها الحنظل ، فكان بهم من تبرأ من عقيدة ابن تومرت فمضى يفتك بالفرنج ، و منهم من بقي مخلصاً له ففقدنا معظم بلاد الأندلس و لم يبق سوى غرناطة مستقلة بحكم محمد ابن الأحمر.

هلك ألفونسو عام ١٢١٤م و خلفه ابنه هنري الأول على حكم قشتالة ، و لا تزال إسبانيا تحتفي بتمثاله المنتصب في حدائق ساباتيني ، تُخلد بذلك ذكرى قطعه للرؤوس المسلمة ، حيث نحتوا له تمثالاً رخامياً و هو يحمل رأساً بين يديه و يطأ رأساً أخرى تحت قدمه ، في زمن حقوق الإنسان يتباهون بالسفاحين المجرمين ، و يحتفون بالجرائم البشعة التي اقترفوها بحق مسلمي الأندلس.

(٢٦) فرناندو الخامس و إيزابيلا

سقوط غرناطة

محاكم التفتيش

(١٤٩٢م-٨٩٧هجرياً)

غرناطة تصارع السقوط: قبل سقوط غرناطة ب ٢٦ سنة كان يحكمها علي بن سعد حفيد محمد بن الأحمر ، كان نقمة على غرناطة ، انصرف إلى اللذات و الشهوات و أهمل الجند و الرعية و تزوج بفتاة رومية سلبت منه الحكمة و الجسارة ، و حكم غرناطة من بعده ابنه محمد الصغير الذي لم يختلف كثيراً عن أبيه و سقطت غرناطة على يديه ، في الوقت الذي توحدت فيه مملكتي أراجون و قشتالة على يد فرناندو و إيزابيلا ، فتكالبا على غرناطة ، حيث استغل فرناندو حال المسلمين و بدأ يشن هجماته على حصونها ، فكانت الحرب دواليك بينهم ، تارة يظفر الفرنج و تارة المسلمون ، حتى وهن جانب المسلمين لقلة العتاد و ضعف النفوس فسقطت حصون غرناطة تترا في قبضة فرناندو ، و حوصرت بالصليبيين من كل جانب ، و ظهر في خضم الحصار مجاهد بارز يسمى موسى بن غسان ، ناوش الفرنج و أرّقهم و صد هجماتهم الشرسة عن المدينة طيلة سبعة أشهر من الحصار ، حتى استنفذ القتال موارد المدينة و رجالها ، و دب الجوع و الخوف بأهل غرناطة تحت وطأة الحصار ، و لجأ حاكمها إلى تسليمها لفرناندو على أن يحفظ أرواح المسلمين و أموالهم و يدع لهم حرية العبادة ، و ألا يغلق المساجد و يحيلها لكنائس ، و ألا يحكم في المسلمين بشريعته ، و ألا يقهر أحداً على اعتناق دينه ، و لما سمع موسى بن غسان بذلك حذر المسلمون من غدر الفرنج و أنهم لا عهد يملكونه و لا شهامة ، سينهبون المدينة و يدمروها ، سيمنعون ذكر الله في المساجد ،

سيخربون البيوت و يهتكون الأعراض ، و انطلق موسى يقابل سرية نصرانية وحيداً فأمعن فيهم قتلاً حتى قُتل ، رضي بالموت الشريف على تنفس الذل في ظل حكمهم ، بذل نفسه في سبيل قضيته النبيلة ، و دخل الملكان فرناندو و إيزابيلا غرناطة في خُيلاء ، و سقط آخر حصن إسلامي ١٤٩٢م ، سقطت كل الأندلس بعد ثماني قرون ، سقطت دولة طارق بن زياد و موسى بن نصير ، دولة عبد الرحمن الداخل ، دولة عبد الرحمن الناصر ، دولة يوسف بن تاشفين ، دولة يعقوب المنصور ، رحل هؤلاء الأشاوس و بقيت الأندلس بلا رجال ، بقيت للجبناء و الجهلاء و الخاضعين.

محاكم التفتيش و أهوالها: فطرة الغدر التي جُبلت عليها طبائعهم تدفعهم كل فينة لنقض العهود ، قبل سقوط غرناطة بعشرين سنة تم إصدار محاكم التفتيش ، ذلك لتنوع الديانات بأرض الأندلس و لخوف الفرنج من جنوح الشعب لتلك الأديان خاصة الإسلام ، لكن ذلك القانون تعطل تنفيذه بشكل واقعي ، حتى سقطت غرناطة و لم يبق بالأندلس أرضٌ مسلمة ، فقام فرناندو و إيزابيلا بإحيائه و لقي تزكية من البابا الكنسي ، و بواسطته لم يرقبوا في المسلمين إلاً و لا ذمة ، لم يدعوا لضمائرهم بصيص من الرحمة ، أخرجت محاكم التفتيش من أعماقهم وحشيتهم ، بينت للعالمين مدى قبح حقيقتهم ، تلك التي يخفونها خلف أقنعة السلام و المحبة ، كبتٌ و مقتٌ تغلغل في أرواحهم لثمانية قرون من حكم المسلمين ، و فرّغوه في هؤلاء الذين بقوا بلا دولة تظلهم و تحميهم ، محاكم التفتيش بقيت أربعة قرون تلاحق المسلمين و تنتقم منهم حتى قام نابليون بإلغائها عام ١٨٠٨م.

لا مكان للمسلمين بالأندلس ، من رضي بالعيش تحت حكمنا فليتنصّر ، و لو تنصر فسنعتبره موريسكياً احتقاراً له و تصغيراً كي لا يتساو مع النصراني الخالص ، و لا يظن أحدكم أنه قد نجا إن قالها بلسانه أنه تنصر ، سنقتلع قلبك

من صدرك و نعرف نواياك ، سننشر أعيننا في كل مكان ، كل نصارى الأندلس هم لنا جواسيس ، إن رآك مخبرنا أيها المسلم الذي تدّعي النصرانية تتكلم أو تفعل أموراً تثير الشك حولك ، لن يتنبأ قلبك بما سيحل بك من هلاك ، إن وجدنا في بيتك مصحفاً ، إن رأيناك تُصلي ، إن سمعناك تتلو القرآن ، إن احتفيت بيوم الجمعة بلبس نظيف الثوب ، إن نطقت باسم الله ، إن امتنعت عن أكل الميتة و لحم الخنزير ، إن تعففت عن شرب الخمر ، إن قمت بختان أبنائك أو سميتهم بأسماء عربية ، إن رأيناك تصوم رمضان ، إن أبصرناك تتصدق بمالك ، إن علمنا بتطبيقك لبنود شريعة محمد ، إن رأينا في أقوالك و أفعالك مثلما كان محمد ، فإنك في نظرنا كافر مستباحٌ كل شيء فيك ، فإنك بذلك قد بعت لنا جسدك نفعل به ما نشاء ، إننا قد قتلنا الحرية أيها المسلمون ، إن التسامح الديني مصطلح اقتطعناه من فص الدماغ ، و المسيحية الحقة التي تبناها المسيح لهي أكرم من أن يقترن بها هؤلاء السفاحين.

ذلك بعض من القواعد التي وضعها الديوان الكنسي و رأى أن يأخذ بها العرب المتنصّرين في تهمة الكفر و المروق ، و من ثبت عليه شيء أو شبهة تقول أنه ما زال يحمل الإسلام في قلبه فمصيره تنكيل لا يخطر على قلب هولاكو و دراكولا.

يملئون بطونهم بالماء حتى تختنق أنفاسهم ، يمررون في أجسادهم سفوداً محمية ، يسحقون عظامهم بآلات ضاغطة ، يقطعون أرجلهم ، يمزقون لحومهم و يفصصونها ، يفسخون فك الوجه السفلي عن باقي الرأس ، يضعون المسلم في تابوت مغلق يتخلله مسامير و سكاكين ضخمة و ببطء يغرسونها في جسده فتُمزّقه إرباً ، يضعونه في حوض ماء يمتلئ ببطء حتى يعلو الماء وجهه و يغرق ، يدفنون المسلمين أحياء ، يجلدوهم بسياط من حديد شائك ، يقطعون الألسنة من محاجرها ، يقيمون حفلات الحرق الجماعية التي يعشقها

الملك الصليبي ، يضعون رأس المرأة بين ركبتيها و ينزعون عنها ردائها و يربطونهن على تلك الحالة عرايا ثم يُلقون بهن في المقابر كي يمتن جوعاً و خوفاً ، حتى الأموات لم يسلموا منهم ، ينبشون القبور و يحرقون الرفات في مواكبهم ، و يحكي الكولونيل ليموتسكي أحد ضباط الحملة الفرنسية على إسبانيا عن شناعة ما وجده تحت ديوان محاكم التفتيش.

: كادت جهودنا تذهب سدى و نحن نحاول العثور على قاعات التفتيش ، فحصنا الدير كله بممراته و أقبيته فلم نجد شيئاً ، حتى أشار عليّ ضابط بفحص أرضية الغرف ، رفعنا السجاجيد فوجدنا باباً كسّره الجنود بقحوف البنادق ، فظهر لنا سلم يؤدي لباطن الأرض ، حتى إذا اجتزنا درجاته ظهرت لنا غرفة كبيرة مرعبة في وسطها عمود رخام رُبطت به السلاسل و الحلقات لتقييد السجناء ، ثم توجّهنا لغرف التعذيب و ما هي إلا و قد انتابني شعور بالغثيان و التقزز و القشعريرة من بشاعة ما رأيت ، غرفاً ضيقة بحجم جسم الإنسان عثرنا بها على هياكل بشرية حيث يمكث بها السجين حتى يموت و تظل جثته حتى تبلى و يتساقط لحمها و تأكلها الديدان ، و وجدنا بها بعض الأحياء عرايا في الرمق الأخير و قد أصاب الجنون بعضهم من كثرة ما صبّوا عليهم من التعذيب ، ثم انتقلنا لغرف أخرى فعثرنا على آلات رهيبة للتعذيب ، آلات لتكسير العظام و سحق الجسم البشري ، تُهشّم الجسد كله تدريجياً فيخرج من جانبها الآخر كتلة من العظام المسحوقة ممتزجة بالدماء و اللحم المفروم ، صندوق في حجم رأس الإنسان ، في أعلاه ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على المسكين بانتظام حتى يصيبه الجنون ، تابوت يطبقون بابه بسكاكين و خناجر فإذا أُغلق مزّق جسم المعذَّب و قطعه إرباً إرباً ، آلات كالكلاليب تُغرس في لسان المعذب ثم تُشدّ ليخرج اللسان معها ليُقص قطعة قطعة ، و كلاليب تغرس في أثداء النساء و تُسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين ،

سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون و هم عراة حتى تتفتت عظامهم و تتناثر لحومهم....كل ذلك و أبشع نال من أصنافه المسلمون بالأندلس ، ما تقشعر له الأبدان و تشيب له الولدان و يصيبك بالقيء و الإغماء و الغثيان ، صبر عليه كثير من مسلمي الأندلس ، دفع ذلك الكابوس بعضهم لاعتناق المسيحية بلسانه ، و بعضهم هجروا تلك الأرض التي حولها الفرنج لجحيم و وبال ، و بعضهم أفنتهم آلات تعذيب محاكم التفتيش ، و فرغت الأندلس من المسلمين في مأساة بكى عليها الشعراء في قصائدهم و الأدباء في نثرهم و كاتبي التاريخ دونوها بالدموع و الدماء.

مقدمة عن الحروب الصليبية و أكبر مجازر الاجتياح الصليبي:

الحروب الصليبية ، سلسلة دموية من الحروب التي شنّتها الممالك النصرانية في أوروبا على المسلمين بالشرق في القرن الخامس الهجري و الحادي عشر الميلادي ، و استمرت بوتيرتها الشرسة زهاء قرنين من الزمان حتى أنجبت أرض العرب أبطال بواسل حرروا القدس و ردعوا جيوش الفرنج و استردوا الأرض المحتلة لحظيرة المسلمين.

كانت دوافع تلك الحروب كثيرة و متشعبة و ملحّة ، فالمجتمع الإسلامي إبان تلك الموجة الصليبية كان مائجاً بالفتن و الثورات و النزاعات ، مصر كانت تحت حكم الشريعة الفاسدة دولة الفاطميين ، الخلافة العباسية سيطرت عليها الثورات و تقلدها اللهاة الضعفاء و وقعت تحت ظل دولة بني بويه الشيعية ، الدولة السلجوقية انحدرت للشقاق و التناحر ، و دولة الأندلس لم تكن أفضل حالاً ، فكان الحال المأسوي للمجتمع الإسلامي أولى دوافع أمراء أوروبا لغزو الشرق ، مع وجود دوافع أخرى في غاية الأهمية كالدافع الديني لاحتلال بيت المقدس ، و الدافع الاقتصادي بعد غزو الفقر للمملكة البيزنطية ، و الدافع السياسي لتوسيع رقعة المملكة و حكم العالم ، و دافع الثأر من معارك اليرموك و أجنادين و غيرها من الحروب التي استأصل المسلمون فيها شأفتهم.

في سنة ١٠٩٦م-٤٨٩ هجرياً ، احتشدت الجموع في القسطنطينية لغزو الشرق الإسلامي ، بعد تسع سنين من تولي البابا أوربان الثاني الكرسي البابوي و في ظل حكم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين ، التقت أحلام البابا في توحيد كنيستي الشرق و الغرب و أحلام الإمبراطور في الحروب و الدماء و تمخضت فكرة الحروب الصليبية التي ساهمت فيها كل الممالك النصرانية في أوروبا ، بيزنطة ، فرنسا ، إنجلترا ، البرتغال ، ألمانيا ، صقلية

، قشتالة ، إيطاليا ، إسبانيا ، و غيرها العديد من الإمارات الصليبية المنتشرة بأوروبا ، و اصطدمت مع كل الدول الإسلامية القائمة ، العباسية ، السلجوقية ، الأيوبية ، الفاطمية ، المماليك و غيرها ، و استمرت قرابة مائتي عام متمثلة في ثماني حملات عسكرية بمئات الآلاف من الجنود و عشرات القادة العسكريين.

الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م كانت الأكثر فتكاً و الأبشع في مجازرها و كوارثها بالشرق و أعقبها سبع حملات عسكرية أقل ضراوة حتى ١٢٧٠م ، كان من كبار القادة الذين ارتكبوا أشنع المجازر في بلاد المسلمين ، جودفري بويون ، ريمون الرابع ، بوهيموند ، بطرس الناسك ، بلدوين الأول ، تانكرد النورماني ، برترام ابن ريمون ، وليام جوردان ، بلدوين دي بورج ، الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين صاحب الحملة البيزنطية ، أرناط ، ريتشارد قلب الأسد ، و على رأسهم البابا أوربان الثاني و الإمبراطور أليكسيوس كومنين اللذان أوقدا شعلة تلك الحروب ، و غيرهم من السفاحين الدمويين الذين اقترفت سيوفهم مذابح بشعة فور إسقاط الإمارات الإسلامية.

أشهر المذابح التي سنكتب عنها ، مذبحة أنطاكية ١٠٩٨م ، مذبحة معرة النعمان ١٠٩٨م ، مذبحة القدس ١٠٩٩م ، مذبحة قيسارية ١١٠١م ، مذبحة عكا ١١٠٤م ، مذبحة طرابلس ١١٠٨م ، مذبحة بيروت ١١١٠م ، مذبحة الرها ١١١٣م ، مذبحة بزاغة ١١٣٨م ، مذبحة عكا ١١٩١م ، و ذلك غيض من فيض دماء معصومة سفكتها الحروب الصليبية بأهل المدن التي سقطت حصونها و خضعت لحكم الفرنج ، و سنضيف أيضاً أحداث إبادة الكاثار التي ارتكبها إينوسنت الثالث إمبراطور بيزنطة عام ١٢٠٩م ، نختم بتلك الفترة قصص سفاحين الجزء الثاني قبل التطرق لأهوال المغول في الجزء الثالث.

....

أربعة عشر سفاحاً في حقبة الحروب الصليبية.

سأكتب نبذة عن كل شخصية ، و سألحق بعد كل شخصية المذابح التي هزت كيان الإنسانية ، (عندما جاء عمر لبيت المقدس لم يكن يحمل إلا العدل و التسامح ، عندما اجتاح الصليبيون أرض العرب لم يحفظوا عهداً و لم يرحموا نفساً و لم يعلوا لكرامة الإنسان شأناً).

إن كان هناك مسيحي سيقرأ السطور القادمة أو قرأ السطور اللاحقة فأنا أدرك مدى رحابة صدره و سماحة خلقه ، أشهد أن التعاليم التي نزل بها المسيح تحض كلها على السلام و المحبة و الفضائل العظيمة ، فلا يساورن أحدكم شك أنني أهاجم المسيحية هنا ، كلا ، بل أهاجم المجرمين السفاحين الذين لا دين لهم و لا فضيلة ، كما ذكرت من المسلمين من أراق دماء البشرية و أرهقها ببطشه ، و الإسلام منه براء و تنزه أن ينتسبوا إليه ، سأذكر شخصيات تدين بالمسيحية اسماً فقط و جوهرها و مكنونها لا يحمل أي وازع ديني أو إنساني.

(٢٧)أوربان الثاني

بابا الفاتيكان

(١٠٣٥-١٠٩٩م)

تولى الكرسي البابوي ١٠٨٨م ، و في خلال عشر سنوات فقط غير صفحات التاريخ عندما أشعل جذوة الحملة الصليبية الأولى التي راح ضحيتها مئات الآلاف من الأرواح ، رجل ذكيٌ سياسيٌ لبق و خطيب مفوه و ذو طموح كبير و أحلام واسعة ، تطلعت عيناه إلى المشرق الإسلامي عندما أبصرت لأول مرة ، أرض المسيح بها ، بيت المقدس بها ، مهد الأنبياء و منابع الخير الوفير ، أنهار العسل و اللبن تفيض منها ، كل الطرق تؤدي إليها بعدما نخرت النزاعات في كيان الحاكمين المسلمين ، من هنا غشيت أوربان الحماسة و استهوته نزعة الحقد الدفين على مسلمي العرب ، عقد مؤتمر كنسي ضخم في كليرمون الفرنسية ١٠٩٥م ، جمع القساوسة من أصقاع أوربا ، ألقى سيلاً من الخطب العصماء ، استخدم كل وسائل الإقناع و بث الحمية و إثارة النفوس ، كفّر لهم المسلمين و وصفهم بالوثنيين الغاصبين ، خدعهم بأن الرب اصطفاه و كلفه بحضّهم على القتال ، أوهمهم بغفران الذنوب لكل من حمل سيفه و ذهب لينتزع أرض المسيح ، صوّر لهم أن المسيحيين بالشرق يلاحقهم الألم و الاضطهاد ، حرك عواطف الفقراء بأنهم سيغرفون من أنهار النعيم ، أحيا غرائز الأمراء في الحرب و الدماء ، جاب كل أطراف أوربا يوقظ فيهم روح القتال من أجل المسيح ، و من ثم لقي استجابة لا مثيل لها و مؤازرة هائلة من مئات الآلاف من الجيوش الصليبية ، و حدد لهم الخامس عشر من أغسطس ١٠٩٦م موعداً لجمع الحشود و الجيوش في القسطنطينية ، و بعد أن ضاقت القسطنطينية بالحشود الغفيرة و قبل أن تفتر العزائم تحركت الحملة الصليبية

صوب المشرق تحمل المذابح على أنصال السيوف بتذكية من البابا أوربان الثاني.

(٢٨)بطرس الناسك

(١٠٥٠-١١١٥م)

راهب و خطيب بارع ، ذو شخصية كاريزمية مؤثرة ، و أحد دعاة الحملة الصليبية الأولى ، ولد بمدينة أميان الفرنسية ، و قضى حياته راهباً و قسيساً ، و عرف بزهده و تقشفه و براعة أحاديثه ، يعتبره البعض هو المشعل الفعلي للحروب الصليبية ، فقبيل الحملة الأولى و بعد أن ساد الفقر و الجوع أنحاء أوروبا فقد جمع بطرس حوله آلاف الفقراء و الفلاحين و حفنة من المجرمين الموتورين و قادهم نحو أرض السلاجقة ليقتطع بعضاً من خيرها ، انضم له شخصية محورية في حملته و هو (والتر المفلس) ، و عرفت بحملة الرعاع الغوغاء ، حيث لم تكن تحمل طابع الجيش المنظم ، فقد كانت صبغتها ثورة جياع عشوائيين يفتقرون الكفاءة العسكرية ، لم يتركوا أرضاً مرّوا عليها إلا سلبوها و نهبوها و قتلوا شعبها من النصارى أو المسلمين ، منها مجزرة سملين التي راح ضحيتها أربعة آلاف نصراني من أهل المجر ، ثم مأساة أخرى بأرض نيش الفرنسية بعد أن أحرقوا الديار بأهلها و قتلوا أعداد كبيرة من بني ملتهم ، الأمر الذي وضع الإمبراطور البيزنطي في ورطة من تصرفاتهم الهمجية الوحشية ، لذا فقد جرّد لهم حملة عسكرية قتلت منهم أعداد كبيرة و شردتهم في الصحاري ، لكن الإمبراطور أليكسيوس لم يبغ أن يفني جموعهم ، فقد بدأت إرهاصات الحملة الصليبية الأولى و هو بحاجة لتلك الأرواح الثائرة الهمجية ليوجههم البابا أوربان الثاني لقتال المسلمين ، فقام الإمبراطور بنقل تلك الجموع المفسدة عبر مضيق البسفور إلى آسيا الصغرى و أمدهم بالسفن و السلاح ، و قبل أن يأتيهم الجيش السلجوقي بقيادة (قلج أرسلان) أغاروا على القرى المسلمة و نهبوها و سفكوا دماء قاطنيها ، و عندما التقوا بجيش المسلمين السلاجقة لحقت بهم هزيمة نكراء هلك فيها

أغلبهم و قتل فيها والتر المفلس و أصيب بطرس الناسك و هرب من أرض المعركة بمشقة ، بعد ذلك أوكل البابا أوربان الثاني له قيادة أحد الجيوش الزاحفة للمشرق ، فكان دوره تأجيج المشاعر و إثارة النفوس و رفع وتيرة الحمية لدى جنود الحملة الصليبية ، و لم يكن له دور عسكري بارز و مساهمة فعالة في إسقاط الحصون الإسلامية ، لكنه أجاد لغة هي الأهم في ميدان المعركة ، ألا و هي إشعال فتائل الحماسة و تعبئة الأرواح بالأدرينالين لما يملكه من الشخصية الكاريزمية الثائرة.

(٢٩)بوهيموند

(١٠٥٤-١١١١م)

أحد أقوى أمراء أوربا ، و قائد الجيش الأشرس في الحملة الصليبية الأولى ، ولد في جنوب إيطاليا للدوق روبرت جيسكارد ، شارك مع والده في حروب المملكة البيزنطية ، و بعد وفاة أبيه تقاسم مع أخيه ممتلكات والده و مُنح إمارة تارانتو ، كان والده من أعتى أمراء أوربا في حقبته ، حيث أخضع مساحات شاسعة من أراضي الدولة البيزنطية و ألحق بها هزائم مريرة ، ذلك أسبغ على شخصية بوهيموند القدرة العسكرية الفائقة و الطموح الناضج و الكفاءة القتالية فبث كل تلك الصفات في جيشه النورماني الإيطالي الخطير ، فكان جيش بوهيموند الأقوى تنظيماً و الأشد قتالاً و الأكثر فتكاً بين كل جيوش الحملة الصليبية.

لما دعا أوربان الثاني كل حملة الصليب في أوربا لانتزاع القدس من المسلمين و الزحف نحو الشرق ، لم يتخلف بوهيموند و لبّى النداء مسرعاً ، جهّز الجيش و شحذ السيوف و اصطفى خيرة النورمان الأشداء و سيّرهم لقتال المسلمين ، اصطحب معه ابن أخته الأمير تانكرد الذي شاركه جرائمه في أنطاكية و أحد سفاحين مذبحة طرابلس ، كان بوهيموند يطمح لقيادة الحملة الصليبية قاطبة و تأسيس إمارة مستقلة لا ينازعه فيها أحد ، أظهر كفاءته عندما هزم الجيش السلجوقي بقيادة قلج أرسلان في موقعة دوريليوم مما أسقط مدينة نيقية بأيدي الصليبيين ، ثم ساهم بشدة في حصار أنطاكية ، تلك التي فشل أبيه في إخضاعها فكانت حلم بوهيموند الأكبر الذي راوده منذ دعوة أوربان الثاني.

كانت أنطاكية في تلك الفترة إمارة سلجوقية تحت حكم(ياغي سيان) ، و لما كان بالمدينة عديد كبير من نصارى الأرثوذكس و النورمان ، فلم يتعذر على بوهيموند الإلمام بكل مداخل المدينة و مخارجها و مؤنها و أعداد مقاتليها مما سهّل عليه إسقاطها ، و بعد حصار مرير لسبعة أشهر فتك خلالها الجوع و الوباء بالطرفين ، و بعد مناوشات و صراعات و خيانات ، سقطت أنطاكية في قبضة بوهيموند عام١٠٩٨م ، و هرب ياغي سيان و أخلى لهم المدينة ، فعم القتل و السبي و النهب أرجائها ، و على أرضها أقيمت مذبحة هائلة بشعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين ، و استعصت أنطاكية العتيقة الجميلة على المسلمين الذين روّعهم سقوطها ، فانهزمت جموع الأمير كربوغا هزيمة نكراء و طارد الصليبيون فلولهم محصلين عدداً لا يحصى من الغنائم و السبايا و الأرواح ، ثم تحالف المجرمان ريمون و بوهيموند و حاصروا معرة النعمان و بعد مقاومة شعبية من أهلها سقطت تحت أيديهم ليقضموها و يمزقوها بأنيابهم حرفياً ، بشهادة مؤرخهم الفرنجي (راول دي كين) الذي قال واصفاً المذبحة الشنيعة بالمعرة (كان جماعتنا يغلون البالغين الوثنيين من المعرة في القدور و يمررون السفافيد في الأطفال و يلتهمونهم مشويين) ، المعنى المطابق لآكلي لحوم البشر.

غدت أنطاكية إمارة صليبية يحكمها بوهيموند و تمهّد الطريق للقدس بعد أن زالت أولى العقبات ، و استقل بوهيموند بإمارته و بحلمه لتأسيس ملك لا يقاسمه فيه أحد ، و أصبح يتطلع لإسقاط حلب و مرعش و ملطية ، فأعمى الغرور بصره و قاده اندفاعه للسقوط في كمين تركي صنعه الملك غازي بن الدانشمند فكان صيداً ثميناً للمسلمين وقتئذ ، و صار الأمير تانكرد حاكماً لأنطاكية ، و بعد أسر ثلاث سنوات خرج بوهيموند مقابل فدية مائة ألف دينار ، ثم عاد لحكم أنطاكية حتى قصمت موقعة البليخ ظهر الصليبيين و كبدتهم

خسارة ١٢ألف جندي و أسر كبار الأمراء ، مما دفع بوهيموند للعودة لأوروبا لجمع الجيوش و الأموال ، و جهّز جيشاً ضخماً غرّه عدده و قوته فتطلع للسيطرة على بيزنطة نفسها قبل أن يرجع و يحكم أنطاكية فاصطدم مع جيوش أليكسيوس كومنين ، لكنه مُني بهزيمة ساحقة خسر على إثرها كل شيء ، لم يستطع أن يعود إلى أنطاكية و لم يتمكن من إحياء ثقة الجند و الأمراء به بعد أن خان هدف البابا و غلّب مصلحته في السيطرة على الحلم الصليبي ، و عاد لصقلية في عزلة و مهانة حتى مات بها عام ١١١١م و لم يحقق أي شيء طمح به ، بعد مكره و سعيه الحثيث و حروب و مذابح افتعلها و كان بطلها ، لقي حتفه لا يملك شيئاً.

مذبحة أنطاكية ١٠٩٨

شارك فيها معظم القادة الفرنج على رأسهم بوهيموند و ريمون

المدينة العتيقة الجميلة ، وقعت في بئر الخيانة ، أولها عندما طعن الفاطميون الأمة في ظهرها بتعاونهم مع الفرنج ، عندما اتفق المستعلي و بدر الدين الجمالي على تقسيم الشام مع المعتدي ، أن يذروا للفاطميين مدينة القدس و أن يدع الفاطميون لهم أنطاكية ، هيهات أن يتخل الصليبيون عن حلم راودهم قرون ، عن حلم أرض المسيح ، تمت المعاهدة بنجاح ، و استدرج الفرنج العبيدين إلى جرفٍ هارٍ انهار بهم في مستنقع الغدر و الخسة ، فبعد أن سقطت أنطاكية زحف الفرنج نحو الحلم المحلق في سماء بيت المقدس ، و لم تُجدِ المحاولات اليائسة لياغي سيان أمير أنطاكية و رضوان أمير حلب و كربوغا والي الموصل و تلقت جيوشهم تقتيلاً و تدميراً و انكساراً بعد انكسار ، و الخيانة التي لا تموت في أرضنا إلا بعد أن تقتل نخوتنا و تكسر إرادتنا لعبت دورها الخالد ، حيث كان على أحد أبراج أنطاكية رجل أرمني الأصل يدعى فيروز ، هذا الذي أطعمه ياغي سيان و عَلَفَه جيداً حتى يذبح الأمة في أحلك أيامها ، و في صباح الثالث من يونيو ١٠٩٨م فتح للفرنج أبواب المدينة في غفلة من أمر حاكمها ، فانسابت الجيوش لداخلها و توغلت في قفارها و عبقت أجوائها برائحة العطن الأوروبي ، فهم ليسوا كما الآن ، فقد كانوا لا يفقهون شيئاً عن النظافة و التطهر ، دَنَسٌ في قلوبهم و دَنَسٌ يفوح من أجسادهم ، قتّروا الأرزاق على أهلها ، ضيّقوا الأنحاء الشاسعة بجيوشهم التي لا حصر لها فكاد الناس يختنقون في أنطاكية ، الناس الذين سمعوا دبيب عساكر الفرنج خلف جدران ديارهم ، الجاثمون في الديار ظلوا جاثمين ، لكن بلا روح ، فقد سلبوا منهم أرواحهم ، و أغلقوا الديار عليهم لتبقى بيوتهم قبوراً لهم ، طفل كان أو امرأة أو شيخ أشمط ، ثقبت سيوف الفرنج صدورهم دون تفرقة كما

يثقب المخيط ورقة هشة ، الآلاف حملوا أحشائهم على أيديهم بعد أن بقروا بطونهم أمام أعينهم ، الآلاف عاينوا على أرض أنطاكية بقع الدم المُتَخَثّر ، لقد رأيت يا صغيري وقاحة و وحشية لم يرها جدك الكهل الذي يحتضر هنالك بين الدماء القانية ، لقد رأيت شبح الموت يا صغيري في الوقت الذي ينبغي لك أن ترى فيه حلمك يُزغزغ قلبك ، ذلك القلب المهترئ من طعن الخناجر ، القلب المستغيث تحت الأضلع المهشمة ، لقد رأيت يا صغيري تلك العظيمة التي أتيت من رحمها و شبعت من ثدييها و خطوت الأرض تحت جناحها ، رأيتها تساق لقصور الفرنج لتبيع لحمها عنوة لمن يشتهي ريحها منهم ، لقد صُعقت من ذلك المشهد الفظيع يا صغيري ، لا تحزن كثيراً ، فسيوفهم إن جاعت فلن تنظر لدموعك المترقرقة على خدك الوردي ، سيشبعونها من دمك الناضج النقي الذي لم يتلوث بعد ، كثير من الوقت صمدت أنطاكية ، سبعة أشهر بين كر و فر و جوع و وباء ، و كلما طال الأمد على العدو حتى يفتح مدينة ما ، كلما كان عاقبة ذلك الفتح تقتيل مروع بأهل المدينة ، عشرات الآلاف قتلوا في أنطاكية ، عشرات الأجساد ألقت في الخنادق و أهيل عليها التراب ، مقابر جماعية تكدست فيها جثث الشهداء ، سرعان ما تخلص الفرنج من ضحايا المذبحة لكنهم لم يتمكنوا من غسل الدماء إلا بعد حين ، و كانت أنطاكية القديمة الفريسة الأولى التي نهش الصليبيون في كيانها.

مذبحة معرة النعمان١٠٩٨م

ريمون الرابع ، بوهيموند

(كان جماعتنا في المعرة يغلون وثنيين بالغين في القدور و يشكون الأولاد في سفافيد و يلتهمونهم مشويين)...المؤرخ الفرنجي: راول دي كين.....(لم تكن

جماعتنا لتأنف فحسب من أكل قتلى الأتراك و العرب ، بل كانت تأكل الكلاب أيضاً)...المؤرخ الفرنجي: ألبير دكس.

لم يتورعوا عن أكل لحوم البشر ، لم يصد أفواههم الفاغرة أي وازع ، قضموا لحوم أهل معرة النعمان تحت أنياب مفترسة ، مدينة الكروم و حقول الزيتون ، مسقط رأس أبي العلاء المعري ، غدت بين المطرقة و السندان ، ضحية الفرنج الثانية ، عباءة مزركشة تخلب الألباب ، استحالت بردة رثة بالية غزاها السوس من كل جانب ، أيتها المعرة الجميلة ، هل زحف الشحم على كتفيك؟ ، هل غطّى اللحم كلتا يديك؟ ، هل صرت مهيّأة للذبح؟ ، أفواه القوم سال منها الزبد ، ريقٌ في حلق تمساحٍ مزدرد ، يشتهي لعابه مخالطتك ، و لن تأتيك جيوش العرب ، رأيت شبابك الباسل يدرأ عنك وحوشاً تعوي خلف الحصن ، رأيتهم يرشقون الفرنج بقفائر النحل و الأغصان اليابسة ، كانت تلك مواجهة يائسة ، لم تكبح سكيناً مشحوذاً ، أن يكسر مزلاج البوابة ، ففُتحت على مصرعيها مرغمة ، فدخل الرعاع الجائعون يبثون الرعب و الهلع ، ثلاثة أيام يقتلون الناس ، ثلاثة أيام يحرقون الديار بمن فيها ، ثلاثة أيام يأكلون لحومهم ، عشرون ألف شهيد ، عشرون ألف ذبيحة ، بالكاد تكفي لإطعام جيوش الفرنج المكلومة ، حفلات الشواء ما أكثرها ، و الولائم البشرية ما ألذ نكهتها ، و الكلاب اللاهثة تستسيغ اللحم النيء المتعفن ، و ها قد وجدت بالمعرة لحماً طيباً قد نبت من أرض المروج و البساتين ، فما أطيبها وجبة لتلك الأجساد الصليبية القذرة ، لحم بشري ناضج و شراب دموي نزل من الشريان لحينه ، أي ماء آسن شربتموه! ، أي قلب فاسد حويتموه! ، أي نزعة عصبية عمياء ملأ البابا بها شغاف قلوبكم ! ، من أي طين الأرض أتيتم؟ ، من أي ديانة سوداء انحدرتم ؟، المسيح الذي اتيتم لأجله بريء منكم ، المدينة المقدسة التي زحفتم نحوها تستغيث ألا يخالط ترابها رجسكم ، لا شرع لكم و لا دين ، و إن

كنتم تزعمون أن بداخلكم ديناً يحكمكم ، فبئس ذاك الدين و بئس تعاليمه ، فهو أبعد ما يكون عن المسيحية.

(٣٠)جودفري بويون

(١٠٦٠-١١٠٠م)

أول حاكم صليبي لبيت المقدس ، أحد جهابذة الحملة الصليبية الأولى ، قائد الجيش الفرنسي الصليبي الذي حوى أمراء مرموقين جعله الجيش الأهم لدى البابا أوربان الثاني ، رغم كونه فرنسياً إلا أن ولاءه الأكبر كان لملك ألمانيا هنري الرابع ، كان يصطحب معه أخيه الأمير بلدوين الأول الذي تحصل على إمارة الرها و تقاعس عن الحملة المندفعة للقدس ، و بعد سقوط أنطاكية و الرها و معرة النعمان زحف جيش قوامه ثمانين ألفاً صوب المدينة المقدسة و نحو تحقيق الهدف الأسمى المنشود للحملة الصليبية ، نحو القدس.

سقطت القدس ١٠٩٩م بعد خيانة الفاطميين و تواطئ حكام المسلمين بعد حصار ٤٠ يوماً ، و أسرف الفرنج في قتل سكانها و أقاموا مذبحة شنعاء أقر ببشاعتها مؤرخي الحملة الصليبية من النصارى ، مجزرة ذُبح فيها سبعين ألف مسلم في يوم واحد ، و تقلد جودوفري حكم بيت المقدس على أشلاء قاطنيه بعد نزاع مع ريمون الرابع ، فأسّس أول مملكة صليبية به و لقّب نفسه ب(حامي بيت المقدس) مذعناً بالولاء للكنيسة الكاثوليكية الغربية ، و عمل على تقوية حصون المدينة و تحصين مينائها ، و ظل على سدة الحكم عام واحد حيث محق الله ذكره عام ١١٠٠م.

بعد سقوط القدس قام الصليبيون بغزو القرى و المدن المحيطة و أسقطوا نابلس و إقليم الجليل و حكمهما تانكرد النورماني ، و بعد عشرين يوماً من مذبحة القدس جهّز الفاطميون جيشاً لقتال الصليبيين عند ميناء عسقلان ، لكن جودوفري تمكن من تشتيت جمعهم و ردهم لمصر خائبين متعثرين في خيانتهم التي أسقطت القدس ، و من ثم استتب الوضع في فلسطين لجودوفري و

أمراءه ، و حكمها بالبطش و القمع و سياسة الإرهاب و المذابح ، منها ما فعله بمزارعين (أرسوف) حيث أمسك بهم الصليبيون أثناء خروجهم لرعاية أراضيهم و قتلوهم ثم مثّلوا بجثثهم ، و لم يكن القتل و القمع ديدنه فقط ، فقد اتبع سياسات ماكرة مع مسلمي الجوار في الحصون التي لم تسقط ، أن تبقى تلك المدن يحكمها أمير مسلم و لا تدخلها الحامية الصليبية نظير الاعتراف بأحقية الفرنج بالقدس و تسيير المئات من العمالة المسلمة ليرعوا أراضي الفرنج و يبنوا لهم الحصون و المستوطنات و دفع فدية سنوية للمحتل ، و من ثم فبتلك السياسة صنع السلام الوهمي للمدن المسلمة المحيطة بفلسطين و قطع الوشائج بين أهل فلسطين و بقية الأقطار المسلمة ، و بموجب اتفاقية السلام لن ينصروا جيشاً مسلماً يأتي ليحررهم ، فسكّن الروح العدائية لدى بعض المسلمين تجاه الصليبيين و سلب منهم نظرتهم للفرنج على أنهم مغتصبون مجرمون ، كي يخرج جيلٌ منخدعٌ بقناع السلام ، منزوعُ من قلبه حمية الجهاد ، راضخاً بحكم الصليبيين لبيت المقدس ، أرض الإسراء و مهد الأنبياء.

الآن تعددت الإمارات الصليبية بالشرق ، الرها يحكمها بلدوين ، أنطاكية يملكها بوهيموند ، بيت المقدس على سدته جودوفري بويون ، بينما طرابلس و عكا و بيروت و العديد من المدن المسلمة تصارع مصيرها المحتوم ، و بينما كان تانكرد جاثماً على أسوار عكا ليسقطها ، أتاه نبأ وفاة جودوفري بشكل مفاجئ و هو في عمر الأربعين ، تاركاً مملكته بلا وريث بعد عام واحد من حكمها ، و قبل أن يفرض تانكرد سيطرته على أرض الميعاد وجد فرسان جودفري يقدمون القدس على طبق من ذهب لبلدوين الأول أخو جودوفري و حاكم الرها ، و قبل أن ينشب صراع على مملكة بيت المقدس طار نبأ أسر بوهيموند لتانكرد الذي ما لبث و تسلم مقاليد حكم أنطاكية ، و استتب الأمر لسفاحين

الحملة الصليبية كلٌ على مملكته ١١٠١م ، بلدوين بالقدس ، و تانكرد بأنطاكية ، و دي بورج على الرها ، و ريمون الرابع لا يفتأ يناوش حول حصون طرابلس لإسقاطها في الوقت الذي بدأ ينبثق فيه نور من شمال العراق ، يحمل رايات النصر المجيد ، مودود و عماد الدين زنكي.

مذبحة القدس١٠٩٩م

جودوفري، ريمون، تانكرد، بطرس، روبرت فلاندر

(جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين).ريموند دي جيل...(لو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى ، ماذا أقول؟ ، لم يبق منهم أحد ، و لم يرحموا امرأة و لا طفلاً).فولشر الشارتري...(شهد بيت المقدس مذبحة رهيبة ، حتى أصبح البلد مخاضة واسعة من دماء المسلمين ما يبعث على الرعب و الاشمئزاز).وليم الصوري.

الحبر أحمر و الصحف أشلاء ، غاص الضمير في بحيرات الدماء ، الأرض قد كُسيت بثوب نُسِج من خيط العنق ، فلم يمس شعاع الشمس ترابها بل ظل أياماً يبدد ثوبها القاني و لم يقدر ، الشمس تلفح كل يوم سطحها علّ الدماء تجف من عَرَصَاتها و تحيلها لسوادها المألوف ، السحب في السماء و الطيور الجامحة ، بعثت لساحات المسجد الأقصى دموعاً تنهمر علّها تنزع من الدماء لزوجتها و تخثرها فتستحيل ماءاً ، شقوق الأرض شربت من نزيف المسلمين حتى طفح كيلها ، شجر الزيتون شرب من نزيف المسلمين حتى ارتوت جدره ، كؤوس الآثمين مُلئت من نزيف المسلمين حتى فاض الدم منها ، لا الكلمات تكفي و لا الخيال يقدر أن يحكي لكم عن مذبحة القدس ، أطلق عنان قريحتك و اكتب كما شئت عن ذلك اليوم ، فلن تسعفك الحروف و عبارات الألم ، فكل المشاعر في ذلك اليوم تبلدت من هول الفاجعة ، و كل القلوب تقطعت نياطها على ٧٠ ألف شهيد حصدتهم سيوف الفرنج في يوم واحد ، في مكان واحد ، في ساحات المسجد الأقصى.

أنا صغير أنطاكية الذي ذبحوني ، أنا صغير معرة النعمان الذي قضموا لحمي نيئاً و مشوياً ، و أنا صغير القدس الذي رأيت بركاناً يجتاح أرضي محموماً و

يزحف نحو داري كالموج الهادر ، لا سبيل أمامي ، سيحرقني البركان أو سيلتهمني الموج في ظلماته ، أبي و أمي يدفعاني نحو شارعنا الذي يعج بالفارين من جحافل الجيش الفرنجي ، فيصم أذني صيحات الفزع و أصوات البكاء ، هرعت و هرع الناس ، و جيش إبليس يلاحقنا ، تعرقل أبي فهوى ، زلت قدم أمي فتداعى جسدها ، و فجأة لقفتهم الفوضى في جوفها كما حملني الزحام الراكض نحو اللاشيء فحجب عني والداي و دفعني للأمام ، أدركت أنهما ميتان لا محالة ، ستدك أقدام الآلاف صدورهم و إن بقي فيهم رمق سينتزعه السيف الصليبي ، لا حصر لمن ثقبتهم السيوف من ظهورهم ، لا حصر لمن ذبحوا خلفنا عندما لم تسعفهم أقدامهم ، دأبت أركض و أركض و أركض ، حتى بلغنا المسجد الأقصى ، توهمت أن المسجد هو ملاذي ، أنه لا غيره سيصد عني وحشيتهم بحرمته و مكانته ، لم يبق بالساحات موضع شبر ، لم نكد نسترد أنفاسنا حتى دخلت علينا خيولهم و سيوفهم و الشرر يتطاير من عيونهم ، تحلّقوا حولنا ، هجموا علينا من كل حدب و صوب ، الموت جاءنا من كل جانب ، كل أصناف القتل الشنيع رأيتها ، هناك من ذبح و هناك من طعن و هناك من نفذ السيف في قلبه و مزّق أحشائه و هناك من تقطعت أوصاله و فارت من عروقه الدماء ، من تقيأ الدم و من بصقه و من نشح منه كالعرق ، أنين الجرحى ، حشرجة الموتى ، قاتلي قد جاءني مهرولاً ، باغتني بطعنة سيف نجلاء ، اخترقتني و مزقت قلبي ، ثم خلع سيفه من قلبي فصرخت ، لقد تذوقت الألم ، لقد شممت رائحة الموت ، لقد رأيت دمي ينزح من صدري و تنهدت مختنقاً لعلي أظفر برشفة هواء ، لكنني لم أستطع ، ضربات قلبي تقل و أنفاسي تفارقني ، و رمقت لآخر لحظة أكوام الجثث من حولي ، و الدماء التي تكسو الأرض من تحتي و تلطخ ثوبي ، و الجندي الذي داسني بحذائه غير آبه ، ثم تبسم الملاك في وجهي و رفعني للسماء.

٧٠ ألف شهيد في ساحات المسجد الأقصى ، تلك المذبحة التي عجز التاريخ عن تزوير حقيقتها فاعترف مؤرخيهم ببشاعتها و شناعتها ، و ظلت لطخة عار في تاريخهم الذي كانت الهمجية و الدموية عنوانه ، إبادة عرقية بحق المسلمين و اليهود لم يسبق أن شهد التاريخ مثلها.

(٣١)ريمون الرابع

(١٠٤٥-١١٠٥م)

ريمون تولوز ، أكبر أمراء الحملة الصليبية سناً و أكثرهم خبرة في ميادين القتال ، أول الأمراء الذين تلقوا كلام البابا على محمل الجد ، فكان أول المستجيبين لدعوته و شعلة من حماس تغلي في صدره ، فجاب الأقطار مع أوربان الثاني يجمع المحاربين و يقذفهم بوابل من الكلمات المستعرة المحفزة للقتال من أجل يسوع ، لقد رأى هيمنة المسلمين في الأندلس بأم عينيه بل و شارك في الحروب التي نشبت بين الطائفتين المتصارعتين على تراب الأندلس ، لذلك فقد عجمته الحروب الدينية مع المسلمين و ازدان تاريخ سيفه بدمائهم أكثر من أي أمير آخر بالحملة الصليبية الأولى ، و بعد أن هدن القتال بالأندلس عطش سيف ريمون تولوز لدماء مسلمي الشرق فلم يتخلف قيد أنملة عن دعوة البابا ، وأصبح الأمير المحبب لدى أوربان الثاني ، و ميّزه بأن جعل ممثل الكنيسة في جيشه الذي كان سواده الأعظم من جنوب فرنسا ، و هو الجيش الأكبر من حيث أعداد مقاتليه مما غذّى أطماع ريمون في اقتناص الإمارة العامة للحملة الصليبية ، لكنه رغم ذلك لم يكن الجيش الأكثر هيمنة بوجود بوهيموند و جودوفري.

شارك ريمون في حصار أنطاكية و تنازع مع بوهيموند على إمارتها لكنه لم يحظ بدعم الأمراء فلم يظفر بها ، ثم ساهم مع جودوفري و تانكرد في حصار القدس و إسقاطها و مجذرتها ، و لما حان وقت اختيار أمير بيت المقدس خذله الأمراء مرة أخرى و أوكلوا الإمارة لجودوفري ، فرغم أنه كان أكبرهم سناً و أكثرهم جنداً لكنه افتقر لكاريزمية جودوفري و دهاء بوهيموند ، كان لهم

بمثابة بحر عسكري مشبّع ينهلون من جنده في حملاتهم و يتقيؤون في ماءه إن طلب الإمارة.

بعد أن خابت مساعي ريمون في كل شيء ، في قيادة الحملة الصليبية ، في التفرد بمملكة أنطاكية و القدس ، في دعم الأمراء ، توجه إلى لبنان حيث جذبته طرابلس بحبال وهمية و وجد فيه ملاذ أحلامه ، شيّد حصناً أمام أسوار طرابلس و بدأ مناوشاته العسكرية حولها ليرضخها ، و لما طال الأمد و لم يتمكن من تحقيق مطمعه ترك ريمون المدينة و توجه للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين ليتباحث معه و يطلب دعمه ، و عندما وصل القسطنطينية لقيها تضج بالجموع الغفيرة ، ٣٠٠ ألف من الجنود و الفلاحين و النساء وصلتهم أنباء النصر الصليبي المؤزّر في المشرق و تاقوا للمزيد ، جيشٌ هائلٌ لم يجد الامبراطور أحق من ريمون الرابع لقيادته ، و أي مفاجأة سارة كانت تنتظر الأمير المتيم بالإمارة ، فأراد ريمون أن يقود الجموع نحو طرابلس الحصينة ليدك أسوارها ، لكن القسم الأكبر منهم أراد تحرير بوهيموند من أسر غازي بن الدانشمند ، مما دفع ريمون للرضوخ لأمرهم و توجه نحو عمق بلاد الأتراك المسلمين لفك قيد الأسد المكبل ، لكن الخيبة و الحظ التعيس لازما ريمون مثل ظله ، لقد وجد بانتظاره غازي بن الدانشمند متحالفاً مع قلج أرسلان السلجوقي و رضوان أمير حلب و هم الذين أنهكهم التناحر فيما سبق ، أراد ريمون أن يثنيهم عن التقدم في أرض الأتراك لما قد ينتظرهم من إبادة ، لكن الجيش الذي لا يذعن لأمر قائده الوهمي أصر على تحرير بوهيموند ، فواصلوا المسير في الأرض المقفرة ، و أكل منهم الإعياء و شرب ، و فتك بهم الجوع و العطش ، و عندما اصطدمت الجيوش و انفجر بركان القتال ، كان لقاءاً غير متكافئ ، دارت رحى المعركة على فصيل واحد ، حصدت سيوف الأتراك عدد لا يحصى من الرؤوس ، هلك أربعة أخماس الجيش الصليبي ،

مائة و ستين ألف قتيل من جيش الفرنج ، فقدوا سمعتهم و هيبتهم ، لم ينج سوى ريمون بحفنة من الجنود و الأمراء ، و بعد تلك الموقعة سقط الصليبيون في موقعتي هرقلة الأولى و الثانية في فخاخ الهزيمة القاصمة ١١٠١م ، ثلاثة معارك فقد فيها الفرنج أكثر من ربع مليون مقاتل ، و عاد ريمون ليمكث أمام أسوار طرابلس مثقلاً بأضغاث الهزيمة ، حتى واتته المنية في قلعته متأثراً بجراحه بعد أن سقطت عليه أخشاباً محترقة ، حيث أشعل أهل طرابلس النيران بالقلعة إبان مقاومتهم لريمون ، فرحل أحد أشرس قادة الحملة الصليبية الأولى بلا إمارة تأوي أحلامه ، و ترك قيادة جيشه لوليام جوردن.

(٣٢)بلدوين الأول

(١٠٥٨-١١١٨م)

شقيق جودوفري الأصغر ، مؤسس أول إمارة صليبية في عمق العالم الإسلامي في مدينة الرها الواقعة غرب الفرات بين الشام و بيت المقدس ، و كانت وقتئذ إمارة يونانية تدفع الجزية للمسلمين و تدين بالتبعية للسلاجقة ، و عندما دخلها بلدوين لقي حفاوة من شعبها الأرمني الذي يميل مذهبه للكنيسة الكاثوليكية و أعانوه على قتل أميرها اليوناني (ثوروس) ، فانفرد بزعامتها عام ١٠٩٨م و قنع بإمارة الرها متخلفاً بجيشه عن الحملة الصليبية التي أكملت الطرق الوعرة نحو أنطاكية.

بعد أن باغتت المنية أخيه جودوفري ، و رغم أنه لم يبذل قطرة عرق في إسقاط بيت المقدس إذا نظرنا إلى تانكرد و ريمون الرابع و دايمبرت الذين ذللوا الصعاب لجودوفري ، إلا أنه تم اصطفاءه لصلة الدم التي تربطه بالأمير الهالك ، و وضعه الفرسان المرشح الأول لحكم مدينة القدس ، فأسرع تاركاً ابن عمه(بلدوين دي بورج) أميراً على الرها ، و وصل القدس سالماً نافذاً من كمين أمير دمشق(دقاق) الذي خابت مساعيه في أسر بلدوين بعد مساعدة الشيعة للأخير على العدو السني المشترك لدى كليهما (دقاق) ، فتقلد حكم المدينة المقدسة عام ١١٠٠م ملقباً نفسه ب(ملك بيت المقدس) ، و لم يلبث أن أرسل حملاته العسكرية لضم التخوم المحيطة بالقدس ، فضم أرسوف و أسقط قيسارية ١١٠١م محدثاً بها مذبحة بشعة فور إسقاطها قتل فيها و ذبح بلا رحمة ، و من بعدها أقام مذبحة رهيبة بعكا ١١٠٤م ، و هزم الدولة الفاطمية في مواقع الرملة الأولى و الثانية و الثالثة و وجه لها لكمات الهزيمة الساحقة مُجهزاً عليها و مرسّخاً أقدامه في أرض المسيح ، ثم جمع القوى الصليبية و

وجهها نحو أسوار طرابلس التي امتنعت على ريمون الرابع ، و مع برترام و وليام جوردن و تانكرد تمكن من الاستيلاء عليها ١١٠٨م بعد أن أجبر الحامية العبيدية على مغادرتها ، تاركين الشعب لمذبحة عظيمة أحدثها الصليبيون بأرضها ، ناقضين عهداً أقسموا من خلاله على صيانة الدماء المسلمة ، ثم انطلقت خيوله من عقالها فاستولى على حصون لبنان تباعاً و أخضع بيروت بعد حصار أربعة أشهر فاستباح كعادته دماء قاطنيها في مذبحة جديدة ١١١٠م.

في تلك الأثناء توهج في الأفق الحالك للأمة نجم مودود أمير الموصل ، المقاتل الجسور الذي أحيا رغبة الجهاد في النفوس القابعة ، و وحّد الصفوف المتشرذمة ، و استمدت السيوف بريقها من روحه المشتعلة بقتال الغاصب السفاح ، و تتلمذ على يديه المقاتل العظيم عماد الدين زنكي ، ألحق مودود بالصليبيين خسائر كبيرة في أكثر من موقعة خاطفة مباغتة ، و أوقع ببلدوين الأول في كمين محكم عند جسر الصنبرة و دارت معركة حامية قتل فيها ألفي فارس صليبي و كاد يأسر بلدوين لولا نجاحه في الفرار بمشقة ، و حاصر الجيش الصليبي عشرين يوماً لولا وصول المدد العسكري الذي جعل مودود ينسحب بعد أن خلف في جسد الصليبيين جرحاً غائراً ، و في عام ١١١٣م غدر به الحشاشون في صلاته بمسجد دمشق تاركاً طريقه المبارك ليكمله عماد الدين زنكي.

بعد وفاة مودود تجرأ بلدوين على العديد من الحصون الإسلامية و التهم أغلب حدود فلسطين في جوف مملكته عدا ميناء عسقلان ثم تطلع لغزو مصر ، فاقتحم سيناء و احتل الفرما (بورسعيد) و أحرق ديارها و مساجدها ، و لولا معية الرحمن بمصر و حفظه لها لكان أكمل طريقه و استولى عليها ، فقد باغته مرض خطير في ذلك التوقيت جعله قعيد الفراش في حالة مزرية ، و

فتك به السقم عام ١١١٨م في العريش أثناء عودته من الفرما تاركاً أعظم مملكة صليبية شيدها ببيت المقدس ، رحل أكثر الأمراء الصليبيين مشاركة في المذابح بحق المسلمين بعد ثمانية عشر عاماً من حكم بيت المقدس تاركاً المدينة المقدسة لحكم بلدوين دي بورج.

مذبحة قيسارية١١٠١م ، مذبحة عكا١١٠٤م

بلدوين الأول

فلسطين الحبيبة ، المعشوقة التي تهفو لها كل القلوب ، منذ فجر التاريخ و الجميع يزعم أنها خاصته و حقه المفقود ، الأرض التي بوركت و بورك كل قطر فيها بأقدام الأنبياء ، و انتقى الله شعبها من بين الأمم كي يغرس فيه العشق الرباني الذي لا ينضب معينه من الصدور ، عشق الشهادة و عشق ذرات التراب الأسود ، هواؤها مسك و عنبر ، ماؤها شهد و بلسم ، و تلك بضاعة فاخرة ثمنها باهظ ، و لا يُؤتى سعرها إلا ببذل الأرواح رخيصة و هي تالله غالية ، كل حقبة مرت عليها حملت في ثناياها وجعاً يفتّق القلوب و يذهب بالأبصار ، كل حقبة زرعت في جوف أرضها مالا يعد من الشهداء الأبرار ، تالله إن شعوبها يجري الصبر في عروقهم كما جرى الدم المسفوك في أصقاعها ، لقد قتلوا الجزع و بددوه و نسفوا رماده في بحر اليقين ، قيسارية كانت فلسطينية حتى النخاع ، و كونها كذلك فقد ابتليت بما قد ابتلي به الوطن الفلسطيني ، فلم يكد يتقلد بلدوين زمام أمور القدس حتى أراد أن يبرهن لأقرانه مدى دمامة أخلاقه ، و قيسارية كانت المستودع الذي بال فيه قذاراته ، دخلها و استباحها ، قتل السواد الأعظم من سكانها ، ذبح في مسجدها كل من لجأ إليه من النساء و الأطفال و العجائز و أحاله لبركة دماء هائلة ، مخاضة حمراء برزت فيها رؤوس منحورة داست فوق جماجمها الخيول و النعال الصليبية....في عكا تشابهت أحداث ما بعد السقوط ، استعصت حصونها على المعتدي ، لجأ المعتدي لقطع أقواتها ، فجنح أهلها للتسليم ، فأقسم المحتل بأيمان الفاسقين أن يحفظ الأرواح ، ففتحت الأبواب و كُسرت المزاليج ، فخضّب المحتل الصليبي أرضها و ديارها بدماء شعبها ، و جعل النحيب يصدح من بيوتها ، ذلك إن أبقى في الديار مسلماً يتنفس ، لكن سقوط عكا كان فاجعة

و مصاب فادح ، فقد كانت أحصن مدن الشام ، و كانت في جسد فلسطين كالشريان المغذي ، و ماذا بعد أن قطعوا من أرواحنا شريان النخوة ، فصرنا كغثاء السيل.

(٣٣)تانكرد النورماني

(١٠٧٢-١١١٢م)

الزعيم الصليبي الأكثر مساهمة في إسقاط كبريات المدن الإسلامية ، شارك في احتلال أنطاكية و القدس و طرابلس ، و ارتكب مع أترابه العديد من المذابح بأرض العرب ، كان يتمتع بدهاء خاله بوهيموند و سياسة سيده المبجل جودوفري و رَهَق سيف الأمير السفاك بلدوين الأول ، فشاركهم جميعاً في تحقيق مبتغياتهم و مهد لكل الأمراء الطريق لتحقيق مطامعهم في الإمارة بعد أن منح سيفه طوع بنانهم ، و لم يكن ذلك لينقصه مهارة عسكرية و شراسة و خبرة شهدت عليها المعارك التي لم يخيب فيها ظن سادته ، لكنه كان أكثرهم حكمة و تعقل في نزاعات الإمارة ، و صبر حتى ارتقى باسمه لعنان السماء.

بعد سقوط أنطاكية ، لم يقبع تانكرد مع خاله بوهيموند بل ارتأى متابعة الزحف مع الجيش الصليبي صوب القدس ، فساهم بشدة في إسقاط المدينة المقدسة و لا سيما روى ظمأ سيفه من دماء شعبها ، ثم ذلل العقبات لجودوفري فاحتل له إقليم الجليل و طبرية و بيسان و تسيّد تلك المناطق كأمير تابع لجودوفري ، و بعد عام واحد و بينما كان تانكرد في حصار عكا جاءته الرسل بخبرين أحدهما أظلم داخله و ما لبث أن لمع بريق عينيه بالخبر الآخر ، النبأ الأول كان وفاة أمير بيت المقدس جودوفري و تنصيب بلدوين الأول المدلل الذي قنع بإمارة الرها و لم يشارك في حروب الحملة بالمشرق و القدس و منحته قرابته مملكة القدس العظيمة دون تانكرد ، و الخبر الثاني كان أسر بوهيموند و فراغ أنطاكية سياسياً من زعيم صليبي و قد تهيأ عرشها لاستقبال تانكرد ، فهرع إليها لا يكاد يستفيق من الغبطة متجاهلاً أسر خاله ، فليذهب بوهيموند إلى الجحيم إن كان ذلك سيمنح لتانكرد أنطاكية العتيقة.

أصبح تانكرد سيداً على أنطاكية ، و تمكن من تكملة نشاط بوهيموند التوسعي حيث نجح في ضم ميناء عسقلان بعد حصار عام و نصف مذللاً الطريق البحري لإمدادات أوروبا مما ساهم بقوة في استقرار أنطاكية لحكم الفرنج ، و لم يتوقف قطار أحلام تانكرد ، حتى كاد يدهس أشقاء الإجرام ، الأمر الذي جعل بلدوين دي بورج يعجّل في عقد مفاوضات مع غازي بن الدانشمند لتحرير بوهيموند ، و نظير ثروة طائلة و ذهب لا حصر له ساهم في جمعه كل محبي بوهيموند ، سال لعاب الغازي لتلك الغنيمة و أطلق سراح بوهيموند ، فعاد إلى أنطاكية أميرها القديم و نزل تانكرد من فوق عرشها يأكله الحقد ليرضخ بالعمل تحت خاله ، ثم ساهم معه في معركة البليخ التي سُحقت فيها القوات الصليبية و ولّى الأدبار بعد أسر بلدوين دي بورج ، الهزيمة التي دفعت بوهيموند للرحيل لإيطاليا لجمع الامدادات ما أعاد أنطاكية لتانكرد كنائب حتى حين ، و استغل أيضاً أسر بلدوين دي بورج و سيطر على الرها ، و بعد أن أُطلق سراح أمير الرها منعه تانكرد من دخولها لولا تدخل بطرك أنطاكية الذي أصلح الأمر و أقنع تانكرد بترك الرها لدي بورج ، و سقطت بعد ذلك كل مدن الساحل الشامي من أنطاكية و حتى يافا و أصبح تانكرد سيد المنطقة الشمالية من الشام و عظم شأنه و أصبح هو و بلدوين الأول الأميرين الأعظم للفرنج سلطة و قدرة ، و ساهم مع برترام ابن ريمون و وليام جوردن في دك حصون طرابلس و في استباحة دماء أهلها ، و أدار أنطاكية ثماني سنوات بعد رحيل خاله لإيطاليا ، و يعده المؤرخون المؤسس الحقيقي لتلك الإمارة العتيدة ، حيث حكمها ١١ عام بنشاط بالغ و دهاء فائق ، و في عام ١١١٢م أصيب تانكرد بحمى التيفود إبان موقعة الصنبرة بعد عام واحد من هلاك بوهيموند ، و كان في عمر الأربعين عندما عاث المرض في دماءه ، و لم يكن له وريث شرعي فاستخلف و هو على فراش الموت أحد القادة النورمان الأشداء (روجر دي

سالرنو) و عهد إليه أن يمنح الإمارة لبوهيموند الثاني الطفل عندما يبلغ أشده ، و فرغت الساحة الشيطانية من مريد سفاح شرس يدعى تانكرد.

(٣٤)بلدوين دي بورج

بلدوين الثاني

(١٠٦٠-١١٣١م)

أكثر الأمراء الصليبيين مكوثاً على عرش الإمارة ، ظل ٣١ عاماً حاكماً بين الرها و بيت المقدس ، ابن عم جودوفري و بلدوين الأول ، عمل نائباً للأخير عندما كان حاكماً للرها ، و لما باغت الموت جودوفري ترك له بلدوين الأول إمارة الرها لكي يظفر بحكم بيت المقدس ، و فور توليه حكم الرها هاجم دي بورج مدينة سروج المسلمة و هزم سقمان بن أرتق مستبيحاً المدينة لجنوده يسوقون أمامهم مئات الأسرى ، و ثبّت جذوره في أرض الرها ، ثم ساهم بماله و سياساته في فك قيد بوهيموند خوفاً من نشاط تانكرد التوسعي و أحلامه الجامحة.

في سنة ١١٠٤م شارك في معركة البليخ ، تلك التي كان فيها النصر الحاسم حليفاً لجكرمش و سقمان بن أرتك ، و كان من نتائجها هزيمة للجيوش الصليبية المتحدة و سقوط العديد من الحصون المحتلة في أيدي المسلمين ، و وقوع بلدوين دي بورج و نائبه جوسلين دي كورتناي في أسر أمير الموصل مما جعل الرها بلا زعيم صليبي قبل أن يستولي عليها تانكرد ، ثم حدث نزاع بين سلطان السلاجقة بفارس و العراق و جكرمش أمير الموصل ، مما دفع جكرمش للتثاقل عن دفع الخراج للسلطان السلجوقي الذي بادره بإرسال قائد شديد البأس سيء السمعة(جاولي سقاوو) الذي تمكن من أسر جكرمش و السيطرة على الموصل و حيازة الصيد الثمين (بلدوين دي بورج) ، ثم تمكن مودود من استعادة الموصل لكنه أفلت جاولي و الأسير الصليبي ، بعد ذلك

تفاوض جاولي مع الزعماء الصليبيين و أطلق سراح دي بورج الذي وجد الرها تحت بسطة تانكرد و استردها بعناء بعد مساعدة بطرك أنطاكية.

عاد دي بورج إلى الرها و حكمها بالقمع و الظلم مهمشاً كبارها و أهلها من الأرمن مما دفعهم لسخطه و التمرد عليه ، و جاء بعد فترة وجيزة مودود و فرض حصاراً ١١١٢م على الرها مرة بعد الأخرى مستعيناً بالساخطين على دي بورج من الأرمن الذين ناصروا مودود كي يرفع عنهم بلاء الحاكم الصليبي ، و لكن الله لم يشأ أن تفتح على يديه بعد حصار شاق و مناوشات عسكرية شديدة ، و أخفق مودود لسوء تقديره لمناعة حصونها و وفرة جنودها بالنظر لعدد الجند الضئيل الذي كان تحت لواءه ، لكن توابع اخفاق مودود كانت ثقيلة على الأرمن ، حيث تشكك دي بورج في كل من حوله ، عزل نائبه و طرده خارج الرها ، و رمى الأرمن بالخيانة ، و أقام المحاكم الغاشمة و أصدر الأحكام التعسفية بحق الأبرياء ، فأعدم أعداداً كبيرة و دفع أعداداً أكبر لهجر المدينة ، و توترت علاقة الأرمن بالصليبيين و تأزم الموقف.

بعد عام واحد سرت إشاعة أن الأرمن يراسلون مودود سراً للخلاص من دي بورج ، و كان رد الأمير الصليبي متطرفاً و عنيفاً للغاية ، حيث دفع جنوده ليقوموا بحملة تطهير عرقي بشعة داخل المدينة لكل الأرمن بلا استثناء ، و شاعت المذابح بحق الأرمن في كل مكان بالمدينة ١١١٣م ، حتى قال المؤرخون أنه لم يبق بالرها شخصاً من أصول أرمنية بعد القتل و الطرد و الملاحقة الصليبية ، ثم راقت الأجواء لدي بورج و تفرغ لمهاجمة المدن الإسلامية المجاورة فأسقط كيسوم و رعبان و قلعة قورس و هدد إمارة حلب ، و جاءته الأخبار من بيت المقدس بوفاة بلدوين الأول و اجتماع الأمراء على تنصيبه محله ، فحكم بيت المقدس حاصلاً على ترقية لا يحلم بها ١١١٨م و لقب نفسه ب(بلدوين الثاني).

في ١١١٩م وقعت معركة البلاط التي أُبيد فيها الجيش الفرنجي على يد إيلغازي بن أرتق و قُتل فيها خليفة تانكرد بأنطاكية (روجر دي سالنرو) ، الهزيمة التي أضعفت الصليبيين و زعزعت استقرارهم الداخلي ، مما حمل بلدوين الثاني على تأسيس فرقتين عسكريتين في غاية الشراسة و هما الإسبتارية(أخوية سيون) و فرقة الداوية المنحرفة(فرسان الهيكل) ، مما أضفى قوة حربية لمملكة بيت المقدس ، و في عام ١١٢٢م ظهر أمير جسور يدعى (بلك بن بهرام) ابن أخي إيلغازي و كان حاكماً لمدينة متاخمة للرها ، تمكن في مفاجأة كبيرة من أسر حاكم الرها جوسلين دي كورتناي ، فأصبح بذلك بلدوين المدير الفعلي لأغلب الإمارات الصليبية بعد الوصاية على أنطاكية فور قتل بوهيموند الثاني ثم الرها بعد أسر جوسلين ، و خوفاً من الخطر المحدّق بالرها حدا ذلك ببلدوين الثاني في عام ١١٢٣م لتسيير جيشه لمقابلة بلك بن بهرام متملكه الزهو و الخيلاء ، و ظن جهلاً أن بلك بن بهرام لن يصمد أمام جحافله ، و لكن على غرار أي توقع وقع بلدوين في فخ الهزيمة و الأسر ، فأمسك بلك بن بهرام والي مدينة خرتبرت الصغيرة في غضون أشهر بملك بيت المقدس و حاكم الرها في صدمة هائلة للصليبيين.

بعد عام من الأسر أطلق سراح بلدوين الثاني مقابل فدية باهظة و معاهدات سلم و مبادلة رهائن ، ثم أنجبت الأرض البطل الإسلامي الباسل أمير الموصل و حلب و فاتح الرها الحصينة (عماد الدين زنكي) الذي ذاع صيته شيئاً فشيئاً و ضم الكثير من الحصون الإسلامية بالشام لإمارته و جاهد الصليبيين بفدائية ، و ابتُلي به بلدوين في معارك شتى ، منها المعركة الأخيرة حول حدود أنطاكية حيث مني الفرنج بهزيمة ساحقة تذيلها سقوط حصن الأثارب المنيع في قبضة عماد الدين زنكي عام ١١٣١م و إبادة أحد أمهر الكتائب الصليبية تحت أنصال سيوف زنكي ، و في نفس العام رحل الأمير ذو الخبرة الفائقة و

الباع الطويل في الإمارة و السياسة بلدوين الثاني بعد ١٨ عام من حكم الرها و ١٣ عام من حكم بيت المقدس.

مذبحة الأرمن بالرها١١١٣م

بلدوين دي بورج(الثاني)

إذا كتبت على محرك البحث شيئاً من قبيل مذبحة الأرمن ، ستنساب النتائج أمام عينيك عن صنيع العثمانيين بالأرمن من مذبحة بشعة راح ضحيتها مليون أرمني إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٥م ، لن تجد من نتيجة بحثية تسقي شغفك في معرفة أحداث التطهير العرقي التي قام بها بلدوين الثاني بالرها عام ١١١٣م ، الحملة الشعواء التي أضرمها بلدوين على سكان المدينة الأرمنيين بعد أن تسرب إليه طيف أوهام بأنهم يواعدون (مودود) سراً كي يقتلع من مدينتهم الصليبيين الذين أذاقوا الشعب ويلات الفاقة و الحرمان ، التاريخ مهما شوهته الأيدي و عبث بحقيقته الملوك و الوجهاء ، فلابد أن يبرز لك قلمٌ شريفٌ ينشد الحقيقة و يمنحك إياها من منابتها التي لا شية فيها و لا تزوير ، سيخبرك ذلك القلم أن مذابح العثمانيين بالأرمن لهي إحدى كبريات أكاذيب العصر الحديث و أن وراء تلفيقها بالدولة العثمانية الإسلامية هدف شيطاني لن يدركه إلا ذوي العقول المستنيرة التي لا تقبل المسخ ، أما عن حملة التطهير العرقي التي قام بها بلدوين فسوف تجدها مفصلة في تاريخ (متى الرهاوي) أحد كبار مؤرخي الأرمن و من عاصر المذبحة في أوج شراستها فسطرها بواقعية معايشة المأساة ، سيخبرك أنه كان أسود يوم في تاريخ الأرمن مطلقاً ، حيث كان الأب لا يعرف أبناءه و لا الابن يعرف أبيه ، كل أرمني يحمل همه في النجاة بروحه على عاتقه ، أن الصليبيين هجموا كالضباع على تجمعات الأرمن و أمعنوا فيهم تقتيلاً و تذبيحاً ، أنهم فتحوا أبواب المدينة معلنين أن الأرض التي تجذر فيها الأرمن غدت محرمة عليهم كأرض الميعاد التي تاه عنها اليهود أربعين عاماً ، من تشبث بالمكوث نهبوا داره ثم جعلوه رماداً بعد أن أحرقوه بساكنيه ، و من أراد الهروب فلينج بقلبه الخافق و ليخرج خالي

الوفاض لا يلوي على شيء و يذر متاعه غنيمة للفرنج ، و بذلك لم يبق بولاية الرها أرمني واحد بعد القتل و النزوح الإجباري.

(٣٥)وليام جوردن

(١١٠٩م)

أحد القادة البارزين في الحملة الصليبية الأولى و أحد من شارك في مآسي الحروب الصليبية بحق المسلمين ، ابن خالة ريمون الرابع ، ساهم معه في العديد من الحروب التي خاضها و لا سيما حصار طرابلس لمدة ٧ سنوات ، بعد وفاة ريمون قاد وليام جوردن جيشه و استأنف الطريق الذي هلك ريمون في منتصفه قبل أن يحقق مبتغاه في الإمارة ، ظل محاصراً لطرابلس مع برترام ابن ريمون مستعيناً بإمدادات بلدوين الأول و تانكرد حتى تسنى له النصر و تصدعت أسوار طرابلس و اجتاحها الجيش الصليبي ناثراً جثث أهلها في كل حدب ، سقطت المدينة عام ١١٠٩م تحت أقدام الصليبيين و حوافر خيولها بعد أن غادرها حاكمها الشيعي(فخر الملك بن عمار) ، لم تجد طرابلس من يحقن دماءها التي سالت و لم تجد من يحفظ أرواحها التي زهقت بأيد آثمة ، و تسلمها برترام بن ريمون بتذكية من بلدوين ليحقق حلماً غالياً لأبيه ، أما وليام جوردن فقد منحوه عرقة و طرسوس رغم جهوده الحثيثة في إسقاط المدينة ، و غدت طرابلس إمارة صليبية منقسمة بين برترام صاحب نصيب الأسد و جوردن الذي اقتطع مدينتين على حدودها ، غير أن ذلك لم يرق لبرترام أن يشاطره أحد إمارة طرابلس ، أن يشاركه جوردان جني ثمار الحلم الذي سلب من أبيه حياته ، و سعى في إبعاد وليام جوردن عن الصورة ، و ما هي إلا أشهر معدودة من حكم طرابلس حتى سمع الصليبيون بنبأ قتل وليام جوردن في ظروف غامضة ، و لم يستبعد البعض أن ذلك تم بإيعاز من برترام ليبسط سيطرته على كل أرجاء المدينة من طرسوس لمدينة جبيل اللبنانية ، و أسدل الستار على حياة أحد سفاحين الحملة الصليبية دافعاً حياته ثمناً لصراع الملك و الإمارة.

(٣٦)برترام بن ريمون

(١١٠٩م)

نجل ريمون الرابع ، ظل لمدة طويلة بعيداً عن الصورة ، حتى أتاه نبأ وفاة والده في حصنه المشيد أمام طرابلس ، فحث الخطى و جاء للشام باحثاً عن ملك أبيه ، فكان قوة إضافية للصليبيين في الحصار المرير الذي دام ٧ سنوات حول المدينة المنيعة ، و بعد أن توحدت قوى الشر ، و بعد أن أشاح المسلمون ببصرهم عن طرابلس و تقاعسوا عن نصرتها ، تهشم درعها الفولاذي و استبيح كل شيء فيها للفرنج ، و أصبحت إمارة صليبية تحت إمرة برترام و وليام جوردان ، غير أن ذلك لم يدم طويلاً ، حيث قُتل وليام دون ملابسات في ظروف مستترة ، و أصابع الاتهام طبعت على سيف برترام بن ريمون ، لكن المحصلة النهائية كانت منفعة كبرى لنجل الأمير الهالك ، أصبحت كل طرابلس بحدودها تخضع لسلطانه ، و تحقق حلم ريمون بعد وفاته ، و رغم أنها لم تمكث لنجله سوى أربع سنوات ، إلا أنها بقيت إمارة صليبية نحو قرنين من الزمان ، و دفعت الأجيال المتعاقبة ثمناً باهظاً أن بقيت تحت احتلال غاشم ، في الوقت الذي كان ينبثق كل فينة من شمال العراق بطل إسلامي مجاهد وسط الخانعين للفرنج ، مودود ثم عماد الدين زنكي ثم نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي ، و كانت طرابلس آخر معقل صليبي يسترده المسلمون ، حيث أنه في عام ١٢٨٩م تمكن سلطان المماليك(سيف الدين قلاوون) من انتزاعها و ضمها لأراضي الدولة المملوكية بعد أعوام من الجهود المضنية التي بذلها الظاهر بيبرس و غيره من مناضلي الأمة ، و بالعودة لزمن برترام فإنه لم يختلف سلوكه عن مجرمي الحملة الصليبية ، قدم مساعداته لبلدوين الأول و شاركه في اسقاط العديد من القلاع الإسلامية المتبقية بأرض الشام ، منها مدينة بيروت التي حوصرت ٤ أشهر بجيوش الأميرين ، و فتحت أبوابها

غصباً للفرنج عام ١١١٠م بعد مذبحة رهيبة لا تقل بشاعة عن نظائرها بأرض المسلمين ، و بعد أربعة أعوام حكمها برترام بن ريمون لقي مصرعه عام ١١١٣م تاركاً حكم إمارة طرابلس لابنه (بونز).

مذبحة طرابلس ١١٠٩م، مذبحة بيروت ١١١٠م

بلدوين الأول، تانكرد، وليام جوردان، برترام

قلعة الصنجيل شُيدت إزائها ، ريمون الرابع فاضت من رأسه أحلام الإمارة ، لبث جاثماً فوق حصنه متطاولاً بقامته و عينه تحدق في طرابلس ، يستل سيفه حيناً و يسكنه في غمده أحايين ، يبعث الرسل لحاكمها العبيدي حيناً و يلوذ بإمبراطور بيزنطة أحايين ، لم ينشب يشاكس و يقارع و يخوض المعارك ، حتى هلك دون إمارة و عينه شاخصة جاحظة حذو طرابلس و قلبه تضخم بالأخيلة الواهية التي لم تنزل على سيفه و شعره الأشيب من صولات الحروب ، فأتى من بعده ماردان تضج فيهم روح شباب ، أشعلوا شغف بلدوين بحماسهم ، و لم يمر على المدينة بضعة أشهر حتى وجدت نفسها ملقاة في بحر الحيتان دون مجداف ، حتى غدت بين فكي الليث الصليبي ، قطعة حلوى زحف النمل عليها ، حلقة ضائعة في فلاة ، تناساها العرب و أعرضوا عنها ، تجمع الأشرار خلف حصونها ، جيوش جرارة نُسلت من كل حدب ، و أمام ذلك الطوفان الجامح وجب عليهم التسليم ، و فتح الفرنج ممراً للحامية العبيدية كي يغادروا طرابلس كالجرذان ، و اقتحم الصليبيون طرابلس جوعى لمأدبة ترصدوها سبع سنين ، دخلوها في أيام العيد الذي لم تمس نسائمه أرواح شعب طرابلس ، قتلوا الكثير من أهل المدينة، رسف الآلاف في الأصفاد ، سبي من النساء و الأطفال ما يخرج عن حد الإحصاء ، تحول العلم إلى رماد بعد أن أكل اللهب مالا يعد من الكتب الثمينة و المخطوطات ، في ثاني أيام عيد الأضحى كانت الأضحية رقاب المسلمين و المُضحي فاجر ، و العيدية لأمراء الفرنج ذهباً و دماء و سلطان جديد في أرض العرب ، و ما لبث أن تساقطت قلاع المسلمين على ساحل الشام تباعاً ، منها بيروت الحبيبة ، التي ذاقت الأمرين أنفاساً و تكومت على أرضها الجثث المضرجة بالدماء ، مذبحة تقفو

أخرى و ضمير اقتطعوه و ألقوه في الخرابات ، تحت سطوتهم ظلت طرابلس حتى انتشلها سيف الدين قلاوون من براثن المعتدين.

(٣٧)يوحنا كومنين

(١٠٨٧-١١٤٣م)

امبراطور بيزنطة في الفترة بين ١١١٨ و ١١٤٣م ، الابن الأكبر لأحد دعاة الحملة الصليبية الأولى ألكسيوس كومنين ، و قائد الحملة العسكرية البيزنطية عام ١١٣٧م ، والذريعة وراء تلك الحملة تبدأ عندما حاصر عماد الدين زنكي مدينة حمص ، فاستغاث حاكمها بأمراء القدس و طرابلس الصليبيين لنجدته ، فجاءته النجدة الصليبية على رأسها ملك بيت المقدس (فولك الأنجوي) و أمير طرابلس(ريمون الثاني بن بونز) ، و سبب قدوم هاتين الشخصيتين البارزتين على مقدمة الجيوش هو الانتقام و رد الاعتبار ، حيث أنه قبل عام واحد تمكن أحد الزعماء الدمشقيين(بزواش) من قتل أمير طرابلس(بونز) بعد معركة طاحنة إزاء أسوار المدينة ، فتسلم نجله (ريمون الثاني) حكم طرابلس و بدون أن يعمل عقله و قبل أن يندمل جرح هزيمة جيشه على يد بزواش ، سعى لأخذ ثأر أبيه فتحرك بجيشه ناحية الجيش الرابض لعماد الدين زنكي عند حمص قبل أن يسبقه ملك بيت المقدس (فولك)، و عند حصن (بارين) دار قتال عنيف بين جيوش أكبر مملكتين صليبيتين و مجاهدي عماد الدين زنكي ، و بعد أن انقشع الغبار عن أرض المعركة تبين أن النصر المبين كان حليف عماد الدين زنكي ، حيث هلك معظم الجيش الصليبي و أُسر ريمون الثاني و فر من القتل ملك القدس (فولك الأنجوي) في فرقة من جنوده إلى أحد الحصون المجاورة (بعرين) ، فعاجله زنكي بحصار محكم حول الحصن و أخذ يقذف أسواره بالمنجنيق و تداعت جُدُره و كاد زنكي يدك المعقل فوق رأس ملك بيت المقدس لولا أن وصلته الأخبار بتحرك جيش الرها و جيش أنطاكية و جيش الإمبراطور البيزنطي(يوحنا كومنين) صوب المنطقة لتحرير ملك بيت المقدس الذي كان قتله سيمهد الطريق أمام المسلمين لفتح القدس ، لكن كل ذلك لم يكن يعلمه

فولك داخل الحصن الذي قطع زنكي عنه كل اتصال خارجي ، فاستغل عماد الدين جهل فولك بحقيقة النجدة القادمة لتحريره ، و شدد الحصار و المناورات حول الحصن ، حتى رضخ فولك لعقد معاهدة معه تنص على تسليم حصن بارين الثمين لزنكي على أن يخرج الصليبيين آمنين لمعاقلهم و يطلق سراح ريمون الثاني ، و تم الأمر و خرج فولك عاضاً على يديه من الندم على التسرع بعد علمه بقدوم النجدة الصليبية ، و وصل يوحنا كومنين و قد وجد اضطراباً واسعاً عصف بأمراء الصليبين و لقي وهن الهزائم المتكررة دب في الجيش الصليبي ، فوضع عينيه على أنطاكية ، تلك التي حرمها بوهيموند قبل ذلك من السلطة البيزنطية ، و تمكن بسهولة أن يحتل المدن الكبيرة المحيطة بها ، ثم ضرب على أنطاكية حصاراً محكماً وسط دهشة من الصليبيين لهذا التدخل المفاجيء و التعدي السافر ليوحنا على مملكة أنطاكية ، غير أن أمير أنطاكية(ريموند بواتيه) لم يجد أمام قوته الهزيلة غير عقد اتفاقية تسليم المدينة ليوحنا شريطة أن يعينه البيزنطي في تكوين إمارة بمدينة حلب حيث حدود و أملاك الدولة الزنكية.

وصلت الجموع الهائلة على رأسها يوحنا كومنين زاحفة نحو حلب تلبية لبنود العهد الذي قطعه مع ريموند بواتيه ، و عندما علم زنكي بذلك الزحف الصليبي و كان وقتئذ محاصراً لحمص انتفض قلبه و غلى الدم في عروقه و عاد لمدينته يطوي الأرض طياً حتى إذا وصلها رفع بها وتيرة الاستعداد و قوّى تحصيناتها و عمّق خنادقها و هيأ معنويات الجند للمعركة المرتقبة ، في تلك الأثناء كان الجيش البيزنطي الصليبي يمارس عتوه و طغيانه في المدن الواقعة على طريق حلب ، حيث حاصروا مدينة بزاغة أسبوعاً ثم تمكنوا من دخولها بعد أن أعطوا لأهلها الأمان ، و سرعان ما نقض يوحنا تعهده و أقام مذبحة شنيعة بأهلها و أمعن القتل و السبي و النهب و التخريب في مدينة بزاغة عام

١١٣٨م ، و بذلك صار الطريق لحلب مفتوحاً ، و لم يكن يعلم يوحنا بأن ما يترصده في حلب ليس بلقمة سائغة و لم يكن يدري إلى أي درجة وصل دهاء و جلد و متانة عماد الدين زنكي ، فما إن حلت القوات البيزنطية حول حدود حلب حتى انهالت عليهم السهام من كل مكان و باغتتهم سرايا زنكي من كل جانب ، و صدتهم الخنادق العميقة و التحصينات المنيعة حول المدينة ، فأُخذوا على حين غرة و أُحيط بهم و قتل منهم خلقاً كثيراً و ما هي إلا ثلاثة أيام حتى اضطر يوحنا أن يرفع الحصار و يفر عائداً و قد تلقى هزيمة أخرى عند حصن الأثارب ثم عند مدينة شيزر و لحقته الانكسارات المتتالية و أرضخه زنكي و هشّم كبرياءه ، فرحل بقواته خائباً يجر أذناب الفشل الذريع.

قبل أن يرجع يوحنا لأنطاكية وصلته الأنباء بتهديد السلاجقة لحدود الدولة البيزنطية ، فتمثل أمامه كابوس معركة ملازكرد التي سحق فيها سلطان السلاجقة ألب أرسلان الإمبراطور رومانوس الرابع ، فآثر أن يعود لبيزنطة لا يلوي على شيء تاركاً أنطاكية لأميرها ريموند بواتيه ، و كما جاء للشرق رحل يوحنا خالي الوفاض ، و لبث بمقر حكمه و لم يعاود الكرة و يطأ أرض العرب ثانية بعدما وجده من أهوال على يد زنكي و بعدما أخفق في كسر الإرادة الإسلامية ، و مات عام ١١٤٣م بعد أن حكم الإمبراطورية ٢٥ عاماً تاركاً الحكم لوريثه الشرعي مانويل كومنين.

مذبحة بزاغة١١٣٨م

نحو ٦ آلاف شهيد ، ربحوا الشهادة في عام مجيد لا ينساه عقل التاريخ ، في العام الذي سفكت فيه سيوف الفرنج دماء أهل بزاغة ، في العام الذي أشعل فيه يوحنا أفواه المغارات التي لجأ إليها الفارين من بطشه ليموتوا خنقاً و حرقاً ، انقشع الضباب فوق قلعة تكريت ، هامت أرواح الشهداء فوقها ،

تحلقت الطيور في سماءها ، أرسلت النجوم وهجاً و بريقاً ، منذ نيف و ثلاثين عاماً غرقت القدس بالدماء و الدموع ، لقد بدأت القدس أخيراً تبتلع الدماء تحت سطحها في ذلك العام ، فكل أرواح الأبرار غادرت أرض القدس و حلقت ، ذهبت لتكريت و قد تحررت ، لتبث في مولودها الجديد لهف الجهاد ، روح القتال ، حق القصاص ، تعطيه مفتاحاً لوصد صنبور الدماء ، تعطيه سيفاً مدرباً على الانتقام ، تبعث البشرى لنجم الدين أيوب ، أن لا تحزن قد جاء صلاح الدين.

(٣٨)ريـنالد دي شاتيون(أرنـاط)

(١١٢٥-١١٨٧م)

أين محمدكم؟ ، لو جاءني هنا لقتلته بسيفي ، تفوه الصعلوك بتلك الكلمات بينما كان ينخر بسيفه في رقاب الحجيج بعد أن أسر قافلة كانت متجهة لبيت الله الحرام ، في ساعة كان فيها صلاح الدين الأيوبي في أقصى بلاد الشام مباعداً الأسفار عن مصر ، و قد عقد أرناط العزم لغزو مكة و تدنيس مقدسات المسلمين و نبش قبر الرسول المبارك ، رجس من عمل الشيطان ما جسر علي التخاطر به أحد قبله من أخلاءه أمراء الدماء ، ها هو قد فكر و قدّر ، سال لعابه و تقطّر ، فاض حقده الدفين و تدفّق ، مهيئاً له أن التعدي على أرض الحبيب أمراً ممكناً.

أرناط ينعته المؤرخون بأنه أحد أشد أعداء الإسلام و أكثرهم مقتاً له و حنقاً ، لا سيما و قد لبث حبيس الأسر قعيداً في سجن نور الدين محمود سليل عائلة زنكي ، يقبع أرناط ستة عشر عاماً يرى عقد شبابه ينفرط و مجده يتلاشى نصب عينيه و لا يملك سوى صرخات مكتومة ، يتردد صداها في مكنونات صدره ، فينكأ غيظه و يكبت حلمه و يطبع على قلبه فيطفح بعداء الإسلام قدحه و يداه مغلولة و جوارحه مكبلة عاجزة.

في بلاد الغال ، في فرنسا ولد أرناط ، بعد مرور ٣٥ عاماً على الحملة الأولى ، فيشبّ لاهثاً وراء المال عاشقاً للوصولية نهماً للدماء متعطشاً للنهب و التخريب ، يتناهى لمسامعه حكايا النصر المجيد للبطل الشهيد نور الدين محمود على الفرنجة ، و كونه فرنسياً ، و كون فرنسا هي الأرض الملعونة التي نبت منها أغلب أمراء الحملة الصليبية و شكلت السواد الأعظم من جيوش الصليبيين ، فلم يتقاعس أرناط ، اضطرمت في قلبه النزعة الدموية و تدافعت

بصدره رغبات عارمة جامحة تبتغي تدمير كل ما هو مسلم ، فالتحق بجيوش الحملة الثانية و بلغ مدينة القدس منتشياً بأحلام تداعب روحه ، فدخل قصر أميرها بلدوين الثالث يحبو و يمنحه فروض الولاء و الطاعة ، و لم يمكث بها كثيراً ، حيث لفحته ريح الانتهازية و الفرص الذهبية من أنطاكية فغازلت ثعبان قلبه ، فحضر بين يدي أميرتها الأرملة (كونستانزا) ، فما لبث أن تودد إليها و أجّج مشاعرها ، و حقنها بجرعات الحنان و العشق ، فسقط قلبه في قلبها محركاً بسمومه تروس عقلها فتزوجته ، و فوق عرش أنطاكية جعلته ، و على كل أقيالها و أمرائها رفعته ، و وضع بذرته في رحمها فأنجبت له فتاة تسميت(أجنس) ، و عندما تضع صعلوكاً على عرش ، فارتقب من ذلك الصعلوك الهوَج و البطش ، ما لبث أرناط أن زاحم الأمراء على ملكهم و أغار على الإقطاعيات الإسلامية و البيزنطة و الصليبية يعيث فساداً و يسوق من خيراتها أمداداً ، كلب لاهث يفتح فيه ، و بستان أنطاكية لا يكفيه ، إما أن تدعه يسلب رزقك ، أو تنصب فخاً يكويه ، و يؤدبه و يهذبه و يربيه ، نور الدين محمود لم يفتأ يسبر أغواره ، علم أنه طائش مهتاج شرهاً للمال بلا تعقل ، ألقى له طعماً سيجلبه يصبو ، ماشية و خيول و غنيمة بلا حرس في سهل الفرات ، و خلف الأحراش عكف واليه في حلب يروم صيد فريسته ، فجاء الأحمق ملوحاً بسيفه و عصبة من جنوده معه ، و بغتة رأى السهام و الرماح تستقر بصدور الجند من حوله ، و ما لبث أن أُسقط في يده و حوصر وحيداً ، و كالجرذ وقع في شراك المصيدة ، و سيّروه ذليلاً مكبلاً إلى سجون حلب ، يوم يقفو يوم ، و عام يحدو عام ، و قلبٌ يُصبُّ في مستودعه كل يوم حقد و كراهية و بغضاء حتى طفح ، ستة عشر عاماً يتخبط في جنبات الأسر ، ستة عشر عاماً لا يبصر نور الشمس ، ستة عشر عاماً يضيق صدره كأنما يصّعد في السماء فيخنق قلبه و شرايينه ، و عندما مات نور الدين محمود و خلفه

من بعده ولده إسماعيل ، أطلق سراح أرناط شيخاً فوق الخمسين ، فخرج من الأسر تموج روحه بالضغينة و عاد لأنطاكية بقلب مستعر ، فوجد كل شيء قد تغيّر.

خرج أرناط من السجن و انطلق لأنطاكية ، دخلها فانهالت عليه الأخبار السيئة ، زوجته قد طوى صفحتها الأجل ، ابنته تزوجت رغم أنفه و هاجرت ، نجل زوجته من زوجها الأول(لبومند الثالث) صار سيد أنطاكية ، توحد المسلمون تحت راية من هو أنكى و أشرس من نور الدين محمود ، و لم يلق الحفاوة و التقدير بأنطاكية ، دخلها بنفس توّاقة و غادرها بنفس يائسة تسبح في لجج الظلام ، فقفل للقدس عائداً ، و استقبله أميرها (بلدوين الرابع) ضاحكاً مستبشراً ، أزال وحشة قلبه و أكرم وفادته و قرّبه إليه ، و زوّجه بأرملة أمير الكرك و الشوبك مكافأة لصبره و إخلاصه للحلم الصليبي ، فغدا بذلك أميراً للمنطقة شرق و جنوب البحر الميت ، و هي أقرب الأراضي الصليبية للجزيرة العربية و إحدى طرق القوافل ، و ذلك لم يخف على صلاح الدين ، أن يحرر من الأسر عدو مقيت مثل أرناط و يجعلونه سيداً لتلك المنطقة المهمة ، و قد حقق الأسطول المصري انتصارات مؤزرة على الصليبيين و ذلك لم يقو عليه بلدوين الرابع ، فعقد مع صلاح الدين معاهدة مدتها عامين تنص على تهادن الحروب و تذليل الطرق التجارية للقوافل مع صيانة أرواح و بضائع التجار عندما ينزلون بأي أرض كانت صليبية أو إسلامية ، و ذلك لم يزد أرناط إلا خبالاً ، كيف يبصر المسلمين يجتازون أرضه و على عيرهم الذهب و الأرزاق؟ ، كيف يخبو غيظه المركوم مع تراب السجن عامين دون تنفيس؟ ، و هو المقيء الخسيء المرتزق عبيد المال ، لذلك ضرب بالمعاهدة عرض الحائط ، شنّف أذنه و أرهف سمعه و ضيّق حدقتي عينه ، و لبث جاثماً يرقب المسلمين ، و ما إن علم بمرور قافلة بها الأنواق تجر حوافرها من ثقل المتاع على

ظهورها حتى هاج و ماج ، و بكل ما تراكم في صدره من غيظ سطى على القافلة في (تيماء) و روّع و أفجع الآمنين منتهكاً الهدنة ، و استولى على كل ما فيها من ذهب و بضاعة و بشر و أنواق ، و ما إن علم صلاح الدين حتى بعث رسله لبلدوين يشْجُب و يتوعد ظاناً أنه يمسك برسن أرناط ، لكنه لم يجد مع أرناط سبيلاً ، و لم يُلبّ الموتور نداء ملك بيت المقدس برد ما سلب للمسلمين ، و تمادى في أفعاله و انحراف خلقه و أقدم على كارثة كانت أول مسمار يُدق في نعشه.

غزو بلاد الحرمين ، نبش قبر الرسول الشريف و نقل جسده الطاهر لفرنسا ، تهفو لزيارته القلوب ببلاد الفرنج فيدفعون أثماناً باهظة نظير ذلك ، هكذا جالت الأفكار في عقلٍ حالك بغيض ، هكذا تملّكه الجنون و الهوس ، منتهزاً غياب صلاح الدين عن مصر ، و انطلق ملائه يقطعون أشجار غابات الكرك و ينشرون النخيل ، و صنع عدداً من السفن الحربية و المراكب ، و عبّأها بالآلات الحربية و الرجال و الشناءة التي غمرت فؤاده ، و أبحر قاصداً أرض الرسول ، فلقي ستة عشر مركبًاً للمسلمين فجعلهم جذاذاً محترقاً ، ثم غلى المهل في صدره عندما أدرك قافلة للحجاج تقصد بلاد الحرمين ، قرصن السفينة و نهبها ، قتل كل ركابها ، انهمرت قطرات الدم الأحمر في مياه البحر الأحمر فغدا له من اسمه نصيب ، ذبح الحجيج رجالهم و نسائهم و أطفالهم في وضح النهار ، البحر يشهد و السماء و الشمس الفاقعة ، كان يجأر بصوته مخاطبهم بينما يتدفق ماءهم القاني من شرايينهم: أين محمدكم ، لو جاءني لقتلته بسيفي ، قولوا له ليدافع عنكم ، و لما وصل لميناء عيذاب انقض بمرتزقته على السفن التجارية فسلبت يداه بضائعها و سلبت سيوفه أرواح ركابها ، و حانت له المدينة المنورة و نخيلها الباسق ، لكنه عاد لميناء إيلات يترقب ما ستؤول إليه الأمور خوفاً على حياته من غضبة المسلمين ، و أرسل

عساكره ينجزون مخططه و عهد لبدو الأعراب يهدونهم السبيل حتى لا تبتلعهم القفار و رمال الصحراء.

في حرّان في أرض الشام هنالك بطل إسلامي ترقرقت عيناه بالدموع ، يتضرع لربه و قد تندّت من العبَرات لحيته ، يناجي ربه: يا رب هل تأذن لي أن أنوب عن رسولك الشريف في الذود عن أمته ، يا رب إني قد وهبت روحي و نفسي فداء لأمة محمد ، و دموعك غالية يا يوسف.

جياد صافنات حثّت الخطى نحو مصر ، تحمل أمراً من صلاح الدين لنائبه(أبي بكر الأيوبي) و قائد أسطوله البحري (حسام الدين لؤلؤ) ، أن يهبّوا لوأد طموح ذلك الملعون ، أن يلتهموا الأميال و يسابقوا الزمن و يلحقوا بأرناط قبل أن يدنو من المدينة ، و طار من موقعه حسام الدين كأنما تحمله الريح ، هرعت السفن تسابق نسور السماء ، أدرك لؤلؤ ميناء عيذاب و به جل جنود أرناط ، فاشتبك معهم و أفناهم عن بكرة أبيهم ، لا تعبث بمقدسات المسلمين ، فتستحيل دماء المسلمين بركاناً ينفث حممه ، و تصير سيوفهم فولاذاً يثقب الجبال ، فتجدنّ جسدك أيها المعتدي كالغربال ، لا تجعلن المسلم يقاتلك بقلبه فتلك تالله معركة يربحها المسلم قبل ولوجها ، جاوزهم لؤلؤ قاصداً هدفه الذي يهيم في صحراء الجزيرة ، وضع أكياس الذهب على رؤوس الرماح كي يخلب ألباب الأعراب و يفرقهم عن جند أرناط ، فتفرقوا عنهم رغباً و رهباً فتاهوا في صحراء الجزيرة ، و عندما أدركهم لؤلؤ صعدوا إلى رأس جبل شاهق و فرائصهم ترتعد من هول ما هو قادم ، و ببسالة و مشهد أسطوري لا يتكرر كثيراً صعد لؤلؤ بعشرة من خيرة فرسانه إلى قمة الجبل ، و حاصر ببضع جنود أكثر من ٣٠٠ صليبي ، قاتلهم و قتل أنجادهم و استسلم له البقية فقيّدهم بالأغلال ، و أرناط قد فر مرتعداً لحصن الكرك ، و صلاح الدين قد أقسم بأغلظ الأيمان أن يقتله بيديه تشفياً من تعديه على أرواح المسلمين و مقدساتهم.

في عام ١١٨٥م مات بلدوين الرابع ، بعدها بعام واحد لعب أرناط دوراً بارزاً في إنهاء حياة ابنه بلدوين الخامس ، و تقلد (جاي دي لوزنيان) حكم بيت المقدس و قد وجد فيه أرناط ما يُغذّي مطامعه ، فلم يمر الكثير من الوقت حتى اندلعت معركة حطين ، الخطوة الأولى لتحرير بيت المقدس ، و في سهل حطين ١١٨٧م تلاقى ١٢ ألفاً من جيوش صلاح الدين مع ٥٠ ألف صليبي ، جيش يقاتل بكل ذرة في كيانه و جيش أكلت النزعة العمياء كل ذرة في كيانه ، جيش فداء و جيش خواء ، التحمت الجيوش و أخذت تتقاتل و الدماء تتناثر من الأجساد و لم يفصل بينهم إلا عتمة الليل ، و استمات المسلمون و بينهم صلاح الدين يُسعّر فيهم روح البسالة و يغرز في نفوسهم جمراً يؤججهم ، و في الجيش الصليبي أرناط و جاي لوزنيان يغوصون في غياهب الانشداه من زحف المسلمين نحوهم رغم قلتهم ، و منح الله للمسلمين أكتاف المشركين ، ثلاثون ألف قتيل حصدتهم سيوف أبناء صلاح الدين ، في يوم ميمون مبارك ، و في الأسر وقع صيد ثمين ، لطالما انتظره صلاح الدين ، لينزع منه حقده الدفين ، ليقتله بيديه باراً باليمين ، ظفر المسلمون بأرناط و الملك جاي، و حملوهم لخيمة أمير المسلمين مكبّلين مرتجفين.

إزاء أرناط و جاي دي لوزنيان قعد صلاح الدين و قسماته تنطق فرحاً ،

قلوب يحركها الله بين إصبعيه في ليلة و ضحاها ، قلب تفتحت أزهاره من النصر المجيد و قلب غلّفه الظلام يئن من وجع الهزيمة ، صلاح الدين يرمق أرناط و لسانه يود أن يقول له الكثير ، و أرناط على عينيه غشاوة و يفر بمقلتيه من النظر لمقعد أمير المسلمين ، لحظات سكون ، بعدها أوعز صلاح الدين لجنده أن يحضروا ماءاً ، فجلبوا إناءاً من الماء البارد و أمرهم أن يناولوه لجاي دي لوزنيان ، فشرب و ارتوى و تخللت الطمأنينة ثنايا روحه ، ثم شرع يناول أرناط ، لكن زمجرةٌ هزّت الأجواء و أرعدت ، صوت صلاح

الدين محذراً ألا يُمنح لأرناط ماءاً فلا عهد له و لا أمان ، فقد أزفت نهايته التي رسمها بأفعاله الشنيعة ، و قام صلاح الدين من مقامه لخيمة تتخلل خيمته مخاطباً الجند أن يأتوا له بأرناط ، فتأبطه الجند و قدماه ثقيلتان كأنما تحمل جبلاً ، دخل لخيمة صلاح الدين مبهوتاً ، بل بُهت أكثر عندما سمع صلاح الدين يدعوه للإسلام ، بعد كل جرائمه يدعوه للإسلام ، لكنه ما كان للإسلام أن يسيح تحت لواءه أمثال أرناط ، فذاك قلب طبع الله عليه و غرته الحياة الدنيا ، رفض أرناط أن يخلع عنه طوق الضلالة ، فذكره صلاح الدين بصفحات من تاريخه الأسود ، ثم قال له: قد قلت هاتوا محمداً يخلصكم ، و أنا أنوب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم اليوم فأخلص المسلمين من شرك ، و تلك كانت آخر كلمات سمعها أرناط ، قبل أن تأتيه ضربة متقنة من سيف شُحذ سنين لأخذ الثأر ، سيف صلاح الدين خلع رأس أرناط من فوق كتفيه ، نافورة دماء تمور بالحقد انبثقت من عروقه ، تحمل ما قد حاك للإسلام في صدره من عداوة ، سلمت يداك يا صلاح الدين ، و دمت لنا رمزاً و نيشاناً يحلق في السماء مع الطيور الخافقين.

(٣٩)ريتشارد قلب الأسد

(١١٥٧-١١٩٩م)

ولد في اكسفورد بإنجلترا في القصر الملكي لهنري الثاني ، و كان الابن الشرعي الثالث للملك و رغم ذلك حظى ريتشارد بملك أبيه بعد وفاته ، حيث طحن كَلْكَل الدهر أشقاءه الكبار في حياة الملك هنري الثاني مما أخلى الساحة لريتشارد لزعامة إنجلترا عام ١١٨٩م ، و على غرار جنسيته و مسقط رأسه قيل أن ريتشارد لم يفقه التخاطب بالإنجليزية بل كان يعزف عنها للفرنسية و القسطانية ، و كان ذو شخصية منحرفة و منجرفة للأهواء ، ظهر ذلك جلياً بعدما نصّبه أبوه دوقاً على أقطانية و ما هي إلا فترة وجيزة حتى برزت أنيابه و قاد ثورة مع إخوته على أبيه ليكسر طوق تبعيته له ، لكن سرعان ما أخمد الأب تمرد أبناءه و أسر زوجاتهم و أبناءهم و لقّنهم درساً قاسياً ، فبادر ريتشارد بالتوسل لأبيه و طلب الصفح فعفا عنه شريطة أن يقتل بيديه من عاونوه على التمرد في أقطانية أو يعاقبهم أشد عقاب ، و في عام ١١٧٥م نحت ريتشارد أول نجاحاته على أسوار قلعة (سور أجين) ، فبعد حصار شهرين أرغم حماتها على رفع راية الاستسلام ، و بعدها بستة أعوام واجه ريتشارد في مقاطعة (أنغوليم) تمرداً نجح في قمعه بأساليب وحشية ، على إثرها أدرك البعض سمات كينونته المقيتة التي تنذر بإحياء حكم الضواري و بلاء السفاحين ، لكن في سفاحنا هذا ما يبعث على الاشمئزاز ، سفاحنا اكتمل نصابه بما هو أقبح ، حيث افترض بعض المؤرخين نظريات و عثروا على وثائق تشير إلى شذوذ ريتشارد الجنسي بحذو شذوذه الأخلاقي ، و أن ريتشارد كان على علاقة لواط مع فيليب الثاني ملك فرنسا ، تلك العلاقة و الرابطة البشعة التي دعت ريتشارد لخيانة والده و دعم حملة فيليب العسكرية على إنجلترا ، الأمر الذي أخضع هنري الثاني لختم شهادة وفاته مذيلة بوصية

تولي ريتشارد مُلك إنجلترا من بعده و هو ما تم بالفعل عام ١١٨٩م بعد وفاة هنري الثاني ، و في عهده ذاق اليهود وبال أمرهم ، و عمّت المجازر بحقهم أرجاء لندن ، الضرب المبرح حتى الموت ، السرقة و الترويع ، تسوية منازل اليهود بالأرض و جعلها أطلال ، حفلات شواء اللحم اليهودي على نيران الغضب المستعرة و تعميدهم قسراً ، و مجزرة يورك عام ١١٩٠م التي تعد من أبشع المجازر بحق يهود أوروبا ، و ماذا بعد ذلك إلا نضوج لحم ريتشارد المتعفن و تمرسه على الإجرام ، بعد عام واحد ١١٩١م تجهز ريتشارد و فيليب و فرّغوا الخزائن على جيوش محتشدة ، و انطلق الشاذان نحو بيت المقدس الذي عاد لكنف المسلمين ببأس و جلد بواسل صلاح الدين قبل أربعة أعوام.

ابتدر ريتشارد حملته باحتلال صقلية التي كانت وقتئذ ولاية بيزنطة على سدتها (تانكريد) ، ثم أعقبها بغزو قبرص بإمدادات من جاي دي لوزنيان ، الأمير الصليبي الذي ضاعت من يديه القدس و أحيا ريتشارد آماله في استرجاعها ، الأمير الذي أطلق صلاح الدين سراحه عندما تعهد له ألا يشهر في وجهه سيفاً أبداً ، و ها قد نكص على عقبيه بعدما ألقى ريتشارد في قلبه شرارة الانتقام ، و بعد أن امتلك ريتشارد جزيرة قبرص باعها لفرسان الهيكل عبدة الشيطان و بذرة الماسونية ، ثم ألمّ به مرض عضال أثناء زحف جيشه نحو عكا ، لكن ذلك لم يكفه و يحجمه ، وصلت جيوش الحملة الصليبية الثالثة على أعتاب أسوار عكا و حفروا الخنادق من خلفهم فحشروا أنفسهم بين الخنادق و الأسوار و حشروا أهل عكا بداخلها و عزلوا عنهم قوات صلاح الدين ، و رغم عياء ريتشارد تمكن من الاستيلاء على عكا بعد حصار عامين و بعد حروب الخنادق المثيرة مع جيوش صلاح الدين و مع مناضلي عكا ، لكن المنجنيق كانت له كلمة الفصل فهدّم أسوارها بعد أن فقد رجالها الأمل و خارت قواهم ،

فسلموا المدينة لريتشارد و فيليب الثاني ، و سُلمت لريتشارد رؤوس ثلاثة آلاف أسير مسلم.

مأدبة نُصبت على أرض عكا ، و الملك ريتشارد توسطها بعرشه ، و على المائدة مُلئت أقداح النبيذ القاني ، اللحم عليها لم يستلذه الملك ، فالملك لا يستسيغ غير نوعين من اللحوم ، لحم الخنزير و لحم آخر شُوي من قبل في المعرة ، وقع الطاهي في مأزق ، أرض عربية مسلمة أنى للخنزير أن يرعى في مروجها! ، إن لم يُطعم فِيه الحاكم بما يستلذ سيمزقه الحاكم إرباً ، لكن الطاهي لم يفكر كثيراً ، فقد أوعز له قرين إبليس بما سينتشله من القتل ، فكل الفرنج يرون المسلم خنزيراً ، ذبح الطاهي مسلماً من أسرى عكا ، و بسكين حاد نَسَل نسائره و شوى أعضائه ، ثم قدم بعضاً من لحمه لريتشارد ، دون تأفف أكل و شبع ، لم يأنف و لم يتقزز ، و في قرارة نفسه أن ما يقتاته لهو أبعد ما يكون عن لحم الخنازير ، ثم نادي لطاهيه أن يمثل بين يديه ، فجاء الطاهي مرتعداً ، و اعترف له أن ما قضمه الملك كان لحماً بشرياً ، و قبل أن يستقر بعقله مثواه من سوء تصرفه ، وجد الملك و قد تهللت أساريره و مدحه قائلاً: لا حاجة لنا بلحم خنزير بعد اليوم مادام لدينا آلاف الأسرى العرب ، و بعد أن شبع من لحم البشر تاقت روحه كي ترتوي من الدماء ، ذبح ريتشارد ثلاثة آلاف أسير عربي من رجال و نساء و أطفال على تلة العياضية ، تلة أضحت جبلاً من الأجساد المتراكمة ، تلة أضحت لجة دماء تسبح فيه الرؤوس ، ذلك ريتشارد الذي ينتصب تمثاله أمام قصر وستمنستر في لندن ، ريتشارد الذي جمّلته أفلامنا نحن قبل أفلامهم ، ريتشارد السفاح الشاذ الذي قال فيه بعض مؤرخي الفرنج أنه لم يدع امرأة حسناء إلا أخذها عنوة و لا رجلاً أثار فيه الشبق في مراحل مختلفة من حياته إلا وطأه ، ريتشارد الذي لازمه فيليب الثاني مثل ظله حتى في سريره ، كلمات أستشنع أن تقرئوها كما كتبتها و أنا

أستشعر الغثيان و القيء ، بعد أن احتل ريتشارد مدينة عكا و ذبح الأسرى نجح في ضم أرسوف و عسقلان ، و تورط في قتل الأمير كونراد الذي كان على خلاف مع جاي لوزنيان مما دفعه لمد يد التعاون مع صلاح الدين ، الأمر الذي عجّل بذبحه بخنجر الحشاشين ، و بعد تدهور صحة ريتشارد و عجزه و يأسه من استرداد بيت المقدس رغم تفوقه في الحروب الجانبية ، لجأ لعقد معاهدة صلح (الرملة) ١١٩٢م مع صلاح الدين ، ثم عاد إلى انجلترا مبحراً بسفنه و كان البحر يحمل له في أعماقه غضب ابن عم قتيل ذبحه الحشاشون.

تلاطمت أمواج البحر و هدرت الرياح و تلبدت الغيوم في كبد السماء ، لتدغدغ الطبيعة سفينة ريتشارد فيعمد لرحلة برية خطرة في وسط أوروبا ، بيد أن الطبيعة قد أسدت معروفاً ل(ليوبلد الخامس) دوق النمسا و ابن عم كونراد الذي لم يهنأ بتتويجه ملكاً على أورشليم بعد أن اغتالته أيدي الحشاشين ، كان ليوبلد قد سكن في قرارة نفسه أن تلك الجريمة وراءها ريتشارد بلا شك ، لذلك لما واتته أخبار تحطم سفينته و أنه يقطع المسافات بالقرب منه بلا جيش يشد عضده ، انتفض من سباته و قنص فريسته كصياد حاذق ، و ألقاه في قلعة له حتى ينظر في أمره ، و بحكم ولاء ليوبلد للإمبراطور البيزنطي(هنري السادس) فقد منحه أسيره النبيل يقايض على رأسه بذهب طائل ، لا سيما و قد تضرر الإمبراطور من ريتشارد عندما أغار على صقلية التابعة له ، و نظير فدية قدرها ١٥٠ ألف قطعة فضية ما عادله المؤرخون بملياري جنيه إسترليني جُمعت من أكباد الشعب و خزائن الكنائس تم حل رسن ريتشارد ليعود لإنجلترا عام ١١٩٤م بعد قرابة عامين من الأسر ، ليرجع و قد وجد رفيق الرذيلة(فيليب الثاني) و قد انقلب عليه و أخذ يقتطع من أرضه و قلاعه ، ليدخل حروباً معه لم تتوقف في آخر سني ريتشارد ، و في خضم نزاعاته مع

فيليب سخّر جنده لتشييد تحفة العصر (قلعة غايار) التي لم ينشب ريتشارد يفارقها حتى فارق حياته.

أرخى الليل سدوله على قلعة غايار في إحدى الليالي الدافئة ، غلّف الظلام كل ما يحيط القلعة من جبال و أحراش و زحفت قتامته على أسوار القلعة ما خلا البقاع التي منحتها المشاعل أقباساً من النور ، خرج ريتشارد من حجرته بدون درع يتمشى حول محيط القلعة في جنح الليل ، يتفقد الساهرين على حمايته ، لكن أحداً كان سُهده لهدف آخر لم يساور ريتشارد شك في أمره ، صبي يافع عجمته ريح الانتقام ممن قتل أباه و أخويه ، صوب قوسه نحو ريتشارد في غفلة من أمره ، سكن السهم كتف ملك إنجلترا بضع إنشات من عنقه ، و حملوه كالمحمومين للطبيب الذي ما فقه في الطب حرفاً ، ربما دفع أعداء ريتشارد للطبيب كي يقتل لهم مريضه في لحظات وهنه ، بطريقة هاوٍ تعلم الطب من جهلاء ، أو ربما طريقة محترف في قانون القتل ، قام الطبيب بإزالة السهم بشكل غير احترافي مخلفاً على إثره جرحاً غائراً ملوثاً تستعمره البكتريا و تتكاثر ، و ما هي إلا سويعات و قد تورم الجرح و غزت الحمى جسد ريتشارد ، ثم تسوّد الجرح و تعفن و استحال لغرغرينة تأكل في طريقها كل نسيج حي يتنفس ، و ريتشارد على فراش الموت بين ألم و مرارة ، فما استرعى انتباهه قط أن الردى سيطرق روحه بتلك السهولة ، و يبدو أن الألم قد صدّع أحجار قلبه ، يبدو أن نسيج الغرغرينة الأسود كان يسحب سواده من قلب ريتشارد المعتم فترك فيه شعاعاً من نور ، فلم ينتقم ريتشارد من قاتله و صفح عنه متذرعاً بالرحمة في رمقه الأخير ، و رحل إلى كهف الموت عام ١١٩٩م بعد عشرة أعوام من حكمه و قد بلغ ٤١ عاماً ، و يبدو أنه قد ترك إرثاً وحشياً في صدور عساكره حيث قام أحدهم بسلخ جلد قاتل ريتشارد و

تعليقه على أسوار القلعة نكاية به من قتل ملكهم الشاب في عز عنفوانه و مجده.

(٤٠)إينوسنت الثالث

إبادة الكاثار

(١٢٠٩-١٢٢٩م)

بابا الكنيسة الكاثوليكية بين عامي ١١٩٨ و ١٢١٦م ، يُعد إينوسنت الثالث من أكثر البابوات نفوذاً و تأثيراً في تاريخ الحملات الصليبية ، بلغ نفوذه طَوراً كان فيه الرجل الأول في أوروبا و صاحب الأمر المجاب و السلطة العليا التي يخضع لها كل أمراء و شعب أوروبا قاطبة ، لم يكن يفتقر قيد أنملة لكل ما حبى شخصية أوربان الثاني من كاريزمية و قدرة روحانية في استمالة العقول ، كما سيّر أوربان بخطبته الحماسية في مجمع كليرمون مئات الآلاف صوب الأرض المقدسة ، كذلك فعل إينوسنت الثالث بتذكية الحملة الصليبية الرابعة و الخامسة ، بل إنه فتح جبهتين شرقاً و غرباً للحروب الصليبية ، حروب في الشرق لاستعادة القدس من الهراطقة المسلمين ، و حروب في الغرب لاستعادة هوية الدين المسيحي من الهراطقة الكاثاريين ، و رغم وفاة البابا في منتصف الطريق إلا أن الحروب ضد الكاثار دامت و احتدت و مكثت حتى عام ١٢٤٤م ، و لمعرفة من هم الكاثار و العلة وراء الهجمة الوحشية التي أطلقها عليهم البابا الكاثوليكي ، الحملة الشعواء التي بدر عنها إبادة جماعية بحق تلك الشعوب المسيحية ، الحملة التي خلفت ورائها مئات الآلاف من القتلى و جعلت المؤرخين يضعونها ضمن أكبر الإبادات الجماعية في التاريخ ، لكي ندرك دوافع إينوسنت الثالث و السخط الذي اعتمل في صدره من الكاثار ، سأكتب لكم في السطور القادمة خلفية تاريخية و عقائدية عنهم.

الكاثار هي كلمة يونانية و تعني (الطاهر) ، في بلاد (اللانغودوك) نشأت عقيدة الكاثار ، و كانت نواتها و بذرتها في مدينة (ألبي) و منها وسمتهم

الكنيسة ب(الألبيجيون) ، و لانغودوك هي أراضي تابعة حالياً لنطاق الدولة الفرنسية جنوباً ، لكن في القرن الثالث عشر كانت تلك البلاد مقاطعة مستقلة عن فرنسا و لها لغتها المحلية و تمتلك حضارة و أسر نبيلة تتعاقب على حكمها و من أهمها أسرة كونتات (تولوز) ، حيث كان الكاثار يدينون بالولاء ل (رايموند السادس) كونت تولوز في تلك الحقبة و الذي ساهم بتسامحه و مداهنته مع الكاثار لنمو عقيدتهم و تفشيها في تلك المناطق الفرنسية ، و قد شكّل درعاً فولاذياً صدّ عنهم قدر الإمكان و لفينة من الزمان الحملات التي دعا إليها البابا ، و قد كانت ثقافة الكاثار آنذاك من أرقى الثقافات في بلدان العالم المسيحي قاطبة و لم يكن يضاهيها سوى بيزنطة ، ففي بلاد اللانغودوك كانت الفلسفة في أوج ازدهارها و الأدب بفنونه موضع تقدير تتعاطاه الألسنة و تتناقله ، ناهيك عن التسامح الفكري و المجتمعي و الإنساني الذي جعل تلك المنطقة جُرماً يلمع بريقه وسط فضاء معتم من التحجر العقلي للكنيسة الكاثوليكية ، و نتيجة للانفتاح العقائدي و الحرية الفكرية فقد شطّ الكاثار بأذهانهم و خلقوا مذهباً هرطقياً نهل بعض مبادئه من المسيحية و استلهم جل ركائزه من الفلسفة التي تفتقت عنها عقول الكاثار ، مشوهين بذلك العقيدة المسيحية التي يؤمن بها السواد الأعظم في أوروبا و ترعى أسسها الكنيسة و البابوات ، و لم يكن في تلك الحقبة الزمنية المليئة بالحروب و الدماء ما يجعل الكنيسة ترضخ لعقيدة تهدم أفكارها بشأن المسيح و تدع جذورها تتغلغل في أعماق أوروبا ، لذلك كان الردع القاسي أيما قسوة بحق الكاثار هو الحل الشافي لوأد مذهبهم للأبد بعد أن أخرجتهم الكنيسة من الدين المسيحي و ختّمتهم بصك الكافرين.

وفقاً لرؤية العديد من المؤرخين و الباحثين الذين أضناهم البحث عن العقيدة التي جُبلت عليها قلوب الكاثار ، نستتشف بعضاً من المبادئ و العقائد التي عكف عليها الكاثار و منها الآتي:

١ـحجر الأساس في عقيدة الكاثار كان في إيمانهم بوجود إلهين أحدهما إله الخير و الآخر إله الشر و هما في صراع دائم من الأزل إلى الأبد ، و هو ما يعرف بالمثنوية المطلقة ، مع العلم أن الدين المسيحي يؤمن بالمثنوية النسبية أو الأقرب ثلاثة تجليات للإله في الآب و الابن و الروح القدس التي تعد وجوهاً منعكسة لله و تصب في النهاية لإله واحد مطلق.

٢ـآمنوا أن إله الخير هو إله العهد الجديد من الإنجيل و هو الذي خلق عالم الأرواح الطاهرة ، أما إله الشر فهو الشيطان و هو إله العهد القديم أو توراة اليهود الذي خلق العالم المادي الذي يحبس في داخله الروح التي خلقها إله الخير ، و أن إفساد إله الشر و إغوائه النابع منه طال كل مخلوقات إله الخير.

٣ـاعتقدوا أن أرواح البشر كانت فعلياً أرواح ملائكية تهيم في الملكوت فقام لوسيفر(إبليس) بإغواء تلك الأرواح الملائكية ليتجسدوا و يتجسموا في الهيئة البشرية المادية و يشكلوا الجنس البشري الذي يخضع لإله الشر و التي سيحررها إله الخير في النهاية و يهزم إله الفساد ، و أن يسوع كان يمثل خلاص الروح الطاهرة من جسدها المادي الذي صنعه لوسيفر ، و أن يسوع كان مبدئاً معنوياً و كلمة روحانية عوضاً عن كونه تجسيد مادي للإله ليرفع عن البشرية الخطيئة.

٤ـكان الكاثاريون يؤمنون بتناسخ الأرواح ، أي أن الروح يمكنها بعد مغادرتها الجسد المادي أن تسكن أي جسد مادي آخر حيوان كان أو إنسان ، أي أن

الإنسان بعد وفاته قد يصبح لروحه تجليات أخرى و التي بدورها ستطهر روحه من آثامها بعد عدة أدوار من التناسخ.

٥.كان من بين الكاثار رجال دين يطلقون عليهم(الكُمّل) ، و هم ذوي الترقية الرفيعة في المعتقد ، و يتخلون عند وصولهم لتلك المكانة عن زوجاتهم و أبنائهم و يهبوا نفسهم للإله و الإنجيل و يترفعوا عن الكثير من الملذات الدنيوية و يعنون بإدارة جل الطقوس الكاثارية.

ذلك نزراً من الأسس التي بنيت عليها عقيدة الكاثار المعقدة و التي تخلت عن الكثير من الطقوس المسيحية ، و يبقى أنهم قضوا على أنفسهم بأنفسهم عندما شرعوا يهاجمون الكنيسة الكاثوليكية ، فقد أنكروا أحقية الكنيسة بالتحدث باسم المسيح ، و أن البابوات خلفاء الأباطرة الزنادقة و زمرة الشيطان و ليسوا خلفاء الرسل ، كما نددوا بدعوتهم للحروب الصليبية و وصفوهم بالقتلة ، و استهزئوا بصكوك الغفران و الاعتراف و الماء المقدس و العديد من الطقوس المسيحية ، و لما جلس إينوسنت الثالث على كرسي البابوية أحس بجهامة الموقف و خطر الكاثار المحدق بسلطة الكنيسة و عقيدة المسيحيين ، و بعد مقتل رسول الكنيسة و مبعوثها(كاستيلانو) للكاثار في أرض كونت تولوز(رايموند السادس) عام ١١٠٨م ، كانت تلك الجريمة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس ، و بدأت إرهاصات الحملة الصليبية على الكاثار بقيادة سيمون مونتفورت ١٢٠٩م ، أحد عظماء إنجلترا و أحد آباء الديمقراطية الحديثة ، حيث ينسب له دعوته لأول برلمان منتخب انتخاباً مباشراً ، مخلداً اسمه في التاريخ بحروف من نور ، لكن على هامش كتب التاريخ ، لو نفضوا عنها بعض الأتربة ، قد يعثروا على حروف من دماء سطرت مأساة الكاثار التي شارك فيها أبو الديمقراطية البريطانية.

ثلاثون عاماً و خمس ، كل قطعة من الزمان ، في بلاد اللانغودوك ، في بلاد الهراطقة الوثنيين ، تنزل الحملات الصليبية كالسيل الجارف تنسف في طريقها ما أمكنها من الكفار شواذ الفكر و المنطق ، قد منحهم البابا صكوك الغفران التي بموجبها أدخلهم الجنة و النعيم و لا بأس عليهم فيما سيفعلونه من بعد ذلك بأرض الكاثار ، رجال الدين و ما أدراك ما رجال الدين ، في الكنائس كانوا أو في المساجد ، في كل عهد يديرون رحى القتل و لكنكم لا تعلمون ، لا تعلمون أنهم يلقون بالكلمة كأنهم موكّلون من عند الله بتمحيص القلوب و تمييزها ، الكلمة التي تكون كشرارة نار في الهشيم ، الكلمة التي يهبّ على إثرها القاتل و يفعل ما ينتشي به ضميره المتعفن ، يبحث دوماً عن مبرر و عندما يُلقمونه إياه تتفتق روحه عن كل أصناف الوحشية و النازية ، ثم تجدهم يرجعون إليك القول و يقنعونك أنهم ما أرادوا سفك الدم و ما علموا توابع كلمتهم ، هم و من قتل بيديه سواء ، بجانب كل ديكتاتور رجل دين لا يقول له إلا ما يريد أن يسمعه ، لكن في تلك الحقبة كان رجل الدين هو نفسه الديكتاتور الذي ما يجسر أن يقول له أحد لا ، إينسونت الثالث وضع القنبلة في مقبسها و أشعل فتيلتها ، أخبرهم أنه قد منحهم الجنة و دورهم أن يمنحوا الجحيم لأعداء المسيح ، فكانت العاقبة إبادة مليون شخص يدين بالعقيدة الكاثارية و عن أي جنة تتحدثون و تُوعدون ، بعد أربعين عاماً من الحملة يمكنك أن تعد على إصبعيك من تبقى من الكاثار ، حصدوا أرواحهم بالسيوف ، تفحمت أجسادهم بنار تلظّى ، أعدموا كبرائهم على المشانق ، شتتوهم في البرية ، حفر الناجون لأنفسهم سراديب في جوف الأرض تمنعاً ، مدن بأكملها تحرق و تباد و تصير رماداً فوق تراب ، مدن بكاملها سبحت في بحيرات الدماء ، من كان يدين بعقيدتهم و من لم يكن ، كل سكان تلك المناطق باختلاف عقائدهم نالوا من الموت الشنيع نصيباً ، سيمون مونتفورت أبلى بلاء حسناً و أسقط قلاعاً

للهراطقة و أعوانهم و طهر الأرض من رجسهم ، و بعد مقتله لم يتوقفوا إلا عندما اندثرت من الأرض عقيدة الكاثار و مُحي من الأرض شعب الكاثار ، أسدل الستار عليهم و طوى صفحتهم الزمان كأن لم يكونوا.

******* تم الجزء الثاني بحمد الله******

المصادر:

١.قصص الأنبياء و التاريخ(الجزء السابع)....د/ رشدي البدراوي.

٢.الرحيق المختوم....شيخ/صفي الرحمن المباركفوري.

٣.مصارع النبلاء....محمد سمير محمد.

٤.خلفاء الرسول....خالد محمد خالد.

٥.البداية و النهاية....ابن كثير.

٦.الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي...د/راغب السرجاني.

٧.قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط...د/راغب السرجاني.

٨.التاريخ الأندلسي...د/عبد الرحمن علي الحجي.

٩.قصة الحروب الصليبية...د/راغب السرجاني.

١٠.الحروب الصليبية كما رآها العرب...أمين معلوف.

١١.تاريخ الحروب الصليبية....د/محمد سهيل طقوش.

١٢.أشرار التاريخ....مجدي كامل.

١٣.فلسطين التاريخ المصور....د/طارق سويدان.

١٤.موقع ويكيبيديا(الموسوعة الحرة).

١٥.موقع إسلام ستوري(قصة الإسلام).

١٦.موقع المعرفة.

١٧.الأبحاث العلمية التاريخية.